الإرشاد الرشيد للجمع الرشيد

د٠ نور علي محمود أحمد (*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم آياته- وهو أصدق القائلين-: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**(١)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الدعاة، وخاتم النبيين، الذي أرسله الله تعالى هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا}**(٢).

ورضي الله تعالى عن الصحابة والتابعين، الذين دعوا بدعوته، واهتدوا بهديه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فليست الدعوة الإسلامية حركة تلقائية عفوية، ولا مجرد وعظ للناس، وتذكيرًا بفضائل الإسلام فحسب، بل هي- كما كانت في نشأتها الأولى- حركة علمية وعملية، تتميز في مبادئها وأهدافها ومصادرها، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط شرعية محددة، فيُختار لها أقوم المناهج، وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل؛ إذ هي عمل صفوة الخلق سيدنا

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

(١) فصلت: (٣٣-٣٥).

(٢) الأحزاب: (٤٥-٤٨).

محمد صلى الله عليه وسلم، وعمل من سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومن تبعه صلى الله عليه وسلم على بصيرة، قال تعالى: **{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}**(١)، وقال سبحانه: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**(٢).

والإرشاد: هو الحث على الخير والتحذير من الشر، على الوجه المتقدم، وهو الترغيب والترهيب، وغايته: صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين، وفضله عظيم، وشرفه كبير؛ فإنه متعلق بطلب الأرواح، وعلاج النفوس؛ لتصل إلى السعادة.

ولما كان الإنسان مركبًا من الجسم والروح، وكان كلاهما عرضة للأمراض والعلل، لا جرم كان محتاجًا إلى طبَّيْن ومتشوفًا إلى علاجَيْن، علاج الجسم وعلاج الروح، ولا شك أن أفضل الطبَّيْن ما أصلح أشرف الجزأين، ولا يخفى أن طب الأجساد قد يصادف روحًا شريرة ونفسًا خبيثة، فتكون صحتها شرًّا على المجتمع، ومحال أن يكون مثل هذا في طب الأرواح، فهو دائمًا مفضٍ إلى الخير والصلاح.

ولقد أكرمني الله تعالى وشرفني بأن أعمل في حقل الدعوة الإسلامية، وأكون من أحد دعاتها الذين يدعون إلى الله تعالى؛ راجيًا من الله تعالى أن أكون من الذين قال الله تعالى فيهم: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**(٣)، وقال فيهم رسول الله ﷺ: فيما رواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) النساء: (١٦٥).
(٢) يوسف: (١٠٨).
(٣) يوسف: (١٠٨).

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: **(نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ)**[1]، فكتبت بحثًا بعنوان: **(الإرشاد الرشيد للجمع الرشيد)**.

أولًا: أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ من أفضل الأعمال، وأقرب القربات، وأوجب الواجبات، بَعث اللهُ تعالى صفوةَ خَلْقه من الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها، ووَعَد القائمين بها أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا في الدنيا والآخرة، بل إن الله جل وعلا جعلها شعارًا لأتْباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٢- أعلى اللهُ تعالى منزلةَ الدعاة؛ حيث يَصيرون بها من أحسَنِ الناسِ قولًا عند خالقهم جل وعلا؛ قال تعالى: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ**}[2].

٣- يحرص المسلم على تبليغ الدِّين إلى الناس: فقد دعا النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لِمَن بلَّغ قوله إلى غيره؛ حيث يقول: **(نَضَّرَ اللهُ امْرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَغَّها؛ فرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ غَيْرِ فقيهٍ، ورُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)**[3]، ومعنى نضَّر الله: هذا دعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة.

٤- الحرص على هداية الناس له فضلٌ عظيمٌ، لا سيَّما إذا هَدَى اللهُ على يده أحدًا، يدل على ذلك ما ثبتَ عن سهل بن سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعليٍّ رضي الله عنه، لما أعطاه الراية يومَ خيبر: **(انفُذْ عَلَى رِسْلِكَ؛ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادْعُهم إِلَى الإِسْلَام،**

---

(١) مسند أحمد، ط الرسالة (٧/ ٢٢١).

(٢) فصلت: (٣٣).

(٣) مسند الإمام أحمد، ط الرسالة، (٧/ ٢٢٧)

وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِن حقِّ اللهِ فيهِ، فَوَاللهِ لأن يَهْدِيَ اللهُ بكَ رَجُلًا وَاحدًا، خيرٌ لَكَ مِن حُمْرُ النَّعَمِ)[1].

وقد بيَّنَ الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ مَن دَلَّ على خير فله مثلُ أجرِ فاعله؛ فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: **(مَن دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِه)**[2].

ثانيًا: أهداف البحث:

- الرغبة الصادقة في بيان توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة، ومدى استفادة الدعاة منه.
- النهوض بالفكر الدعوي المستنير لدى قادة الإرشاد الديني بوزارة الأوقاف، والأزهر الشريف.
- الوقوف على المعرفة الصحيحة لفهم مقاصد الدعوة الإسلامية، من خلال توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم.
- توجيه الشباب الواعد في المجتمع المسلم؛ لغرس حب الدعوة إلى الله تعالى، وقيمة البحث والقراءة، وطلب العلم، والتنقيب عن كل علم يفيد الدفاع عن الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى الله تعالى.
- مطالبة الإعلام بعدم تشويه صورة الإمام، وتحري الدقة في عرض القضايا الخاصة بالسنة النبوية، وعدم السماح بإساءة فهم السنة، واعتبارها طريقًا للقهر والرجعية.

---

(١) البخاري (٧/٤٧٦).

(٢) مسلم (٣ /١٥٠٦).

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المناهج الآتية:

أولاً: المنهج التاريخي:

جمعت ما ذكره أهل العلم من المصادر الأصولية الأصيلة، وما ذكره العلماء من الحكم البالغة في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، ومعرفة زمن كتابتها، وأيضًا التسلسل التاريخي للأحداث وتسجيلها، والوقائع التي حدثت في الماضي، وتحليلها على أسس علمية؛ بقصد التوصل إلى الحقائق التي تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي.

ثانيًا: المنهج الاستقرائي:

بينت ما ورد في البحث من (الآيات القرآنية) عزوته إلى السور التي وردت فيها مع ذكر رقم الآية، واسم السورة، وما ورد من (الأحاديث النبوية) خرجته من المصادر الأصيلة من كتب السنة، بادئًا بالصحيحين ما أمكن، إن لم أجد تجاوزتها إلى غيرها مبينًا اسم المصدر، ومؤلفه، واسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة، ورقم الحديث إن وجد، واعتمدت في هذا البحث علي مراجع متنوعة، منها ما يتصل بالمراجع الحديثة والقديمة.

الدراسات السابقة:

لم أجد أحدًا تناول هذا الموضوع من قبل، ولكن كتب الكثير من المؤلفين في الدعوة، وفقه الدعوة، والخطابة، وطرق تبليغ الدعوة، وعلم نفس الدعوة.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد، وتسعة فصول، وخاتمة، وهذا على النحو التالي: مقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، ثم التمهيد: وهو بعنوان (تعريف الإرشاد الرشيد للجمع الرشيد)، الفصل الأول: الإرشاد بالترغيب والترهيب، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: التدرج في الهداية، المبحث الثاني: القدوة الحسنة، المبحث

الثالث: من أساليب الترغيب والترهيب التذكير بالنعم، الفصل الثاني: الإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: استعمالات الحكمة في القرآن والسنة، المبحث الثاني: الحكمة في جانب الداعية، وفيه خمسة مطالب، المطلب الأول: الجانب السلوكي والأخلاقي، المطلب الثاني: صدق الداعية، المطلب الثالث: الصبر عند الداعية، المطلب الرابع: تواضع الداعية، المطلب الخامس: الرحمة عند الداعية، المبحث الثالث: فوائد الحكمة للداعية، الفصل الثالث: الجانب العلمي والثقافي للداعية، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: العلم بالإسلام، المبحث الثاني: العلم بحال المدعو، المبحث الثالث: العلم بمناهج وأساليب الدعوة، الفصل الرابع: الحكمة في جانب الدعوة إلى الله تعالى، المبحث الأول: ملامح الحكمة في طبيعة الدعوة إلى الله تعالى، وفيه أربعة مطالب، المطلب الأول: ترتيب الأولويات، المطلب الثاني: مراعاة التدرج، المطلب الثالث: مراعاة طبيعة حال المدعو، المطلب الرابع: مراعاة المناسبة، الفصل الخامس: ملامح الحكمة في أساليب الدعوة، وفيه خمسة مباحث، المبحث الأول: اللين والرفق، المبحث الثاني: تأليف القلوب، المبحث الثالث: الستر وعدم التعنيف، المبحث الرابع: الموعظة الحسنة، المبحث الخامس: المجادلة بالتي هي أحسن، الفصل السادس: دور الإرشاد الديني في الملتقيات الفكرية، وفيه مبحثان، المبحث الأول: أهم التحديات التي تعترض الملتقيات الفكرية وكيفية مواجهتها، المبحث الثاني: أهم التحديات الداخلية، الفصل السابع: المدارس العلمية وتدريس التراث، الفصل الثامن: دور القوافل الدعوية في مواجهة الأفكار المتطرفة، المبحث الأول: أهم المقترحات لنجاح القوافل الدعوية، الفصل التاسع: دور الإرشاد الديني في إنشاء المسابقات لاختيار الدعاة إلى الله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول: صفات وسلوك الشخصية الوطنية للداعية السليم الفطرة، المبحث الثاني: صحة الفكر الذي يعتنقه الداعية إلى الله تعالى، المبحث الثالث: من صفات الداعية سليم الفطرة (الوسطية).

الخاتمة : ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيـــد

(تعريف الإرشاد الرشيد للجمع الرشيد)

أولاً: تعريف الإرشاد في اللغة:

(رَشَدَ): الرَّاءُ وَالشِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقِ، فَالْمَرَاشِدُ: مَقَاصِدُ الطُّرُقِ، وَالرُّشْدُ وَالرَّشَدُ: خِلَافُ الْغَيِّ، وَأَصَابَ فُلَانٌ مِنْ أَمْرِهِ رُشْدًا وَرَشَدًا وَرِشْدَةً[١].

(الرَّشَادُ) ضِدُّ الْغَيِّ، تَقُولُ: (رَشَدَ) يَرْشُدُ مِثْلُ قَعَدَ يَقْعُدُ (رُشْدًا) بِضَمِّ الرَّاءِ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ بَابِ طَرِبَ، وَ(أَرْشَدَهُ) اللَّهُ، وَالطَّرِيقُ (الْأَرْشَدُ) مِثْلُ الْأَقْصَدِ، وَتَقُولُ: هُوَ (لِرِشْدَةٍ) ضِدُّ قَوْلِهِمْ: لِزَنْيَةٍ، قُلْتُ: هُوَ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَالزَّاءِ وَفَتْحِهِمَا أَيْضًا[٢].

ثانيًا: تعريف الإرشاد في الاصطلاح:

الإرشاد النفسي الديني هو محاولة استعادة صفات وخصائص النفس المطمئنة، والمتمتعة بالصحة النفسية، تلك الصفات التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف من قبل، والتي فقدها الفرد؛ بسبب إغوائه وانزوائه وراء أهوائه ونزعاته[٣]، حيث يرى معوض أن الإرشاد النفسي الديني هو شكل من أشكال العلاج النفسي الحديث، يقوم على أساليب ومفاهيم ومبادئ دينية وروحية وأخلاقية؛ بغية تصحيح وتغيير الأفكار المشوهة والتصورات المختلة وظيفيًّا لدى الفرد، في أمور الحياة كلها، ومساعدته على تحمل مشاق الحياة، ويبعث الأمن والطمأنينة في النفس، وراحة البال، ويغمره الشعور بالسعادة[٤].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٨).

(٢) مختار الصحاح (ص ١٢٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: الإرشاد النفسي الديني، د/ محمود فتوح (ص٨ – ٩).

وعرَّف كل من موسى ومحمد: الإرشاد والعلاج النفسي الديني الإسلامي، بأنه عمليات تعلُّم وتعليم نفسي اجتماعي، تتم في مواجهة بين شخص متخصص في علم النفس الإرشادي "مرشد"، وشخص آخر يقع عليه التوجيه والإرشاد "المسترشد"، ويستخدم فيه فنيات وتقنيات وأساليب فنية ومهنية، ويهدف إلى مساعدة المسترشد على حل مشكلاته ومواجهتها بأساليب توافقية مباشرة، وإعانته على فهم نفسه، ومعرفة قدراته وميوله، وتشجيعه على الرضا بما قسم الله له، وتدريبه على اتخاذ قراراته بهدى من شرع الله؛ حتى ينشأ عنده طلب الحلال بإرادته، وترك الحرام بإرادته، ويضع لنفسه أهدافاً واقعية مشروعة، ويفيد من قدرته بأقصى وسعها في عمل ما ينفعه بالسعادة في الدنيا والآخرة(١).

يتضح مع العرض السابق لمفهوم الإرشاد النفسي الديني من المنظور الإسلامي: أنه ركز على أنه شكل من أشكال الإرشاد النفسي الحديث، يستمد أساسياته ومبادئه وفنياته من القرآن والسنة النبوية، وأنه ذو فعالية في تخفيف الاضطرابات النفسية، الأمر الذي يسهم في تحقيق الاتزان الروحي والاستقرار النفسي في نهاية المطاف.

وأفضل تعريف في نظري للدعوة والوعظ والإرشاد: هو في آية قرآنية جمعت أمور الدعوة الإسلامية، وما يحتاجه البشر في مختلف مجالات الحياة: **{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}**(٢).

ووجهتي في اتخاذ هذه الآية- كتعريف لمفهوم الوعظ- أمور كثيرة، أجملها فيما يلي:

---

(١) انظر: الإرشاد والعلاج النفسي من منظور إسلامي، كمال مرسي، ط دار القلم سنة ١٩٩٥م، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم في علم النفسي، رمضان محمد محمد، ط دار النهضة، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.

(٢) إبراهيم: (١).

أولًا: أنه لا يوجد كلام أصدق من كلام الله، وكلامُ البشر وتأليفهم يؤخذ منه ويرد عليه، إلا كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا حدد الله أمرًا جاء تحديده تامًّا؛ لأنه خالق كل شيء في الوجود وأعلم به.

ثانيًا: حدد الله منهاج الوعظ- القرآن الكريم- والقرآن- كما هو معلوم- ذكَر الله فيه كل شيء، كما قال تعالى **{مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**(١)، وفصَّل الله كل شيء، كما قال تعالى: **{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}**(٢).

ثالثًا: بيَّنت الآية مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، والملاحظ أن الظلمات جمع، والنور مفرد، ويعلل ذلك بعض المفسرين بقولهم: جمع الله الظلمات؛ لأنها تختلف من ظلمة إلى ظلمة، فهناك الظلمة السياسية، والظلمة الاقتصادية، والظلمة الاجتماعية، والظلمة الأخلاقية، إلى آخر ما في المجتمع من ظلمات، وأفرد النور؛ لأن مصدره واحد، وهو التوجيه الإلهي؛ لإنقاذ الناس من هذه الضلالات بنور الوحي(٣).

رابعًا: أوضحت الآية الصراط المستقيم، وأنه هو صراط الله، وأن إنقاذ الناس بهذا الصراط لا يكون إلا بتوفيق الله مع جهد الرسول؛ لأن الله هو خالق الإنسان والمجتمع، وهو أعلم بما يصلح نفسه، فيشرع له المنهاج المتكامل، فيؤمن به، ويتبعه كثير من الناس، كما قال الله: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِم}**(٤).

وعلم الله أن هناك طائفة من الناس تقف في وجه الحق، وتعاند الدعاة والواعظين، ولا تتبع منهج الله، كما قال الله محذرًا طائفة المؤمنين من اتباع

---

(١) الأنعام: (٣٨).

(٢) الإسراء: (١٢).

(٣) تيسير النسفي من سورة الأنعام، للدكتور موسى شاهين لاشين، ط. المكتبة الأزهرية.

(٤) يونس: (٩).

هذه الفئة: {**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**}[1].

ومن هذه الأمور السابقة وغيرها اخترت الآية لبيان مفهوم الوعظ؛ لأنها في نظري لم تترك شيئًا إلا أوضحته، وإن كان في عبارة موجزة معجزة، قليلة في الألفاظ، كثيرة في معانيها ومراميها؛ إذن فالموعظة هي في نظري المنهج الإسلامي المتكامل القائم على الكتاب والسنة، المشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهدايتهم، ولبيان ما يجب عليهم نحو دينهم ونحو غيرهم، وما يجب لهم من حقوق في مجتمعاتهم؛ لنفعهم في عاجلهم نحو دينهم ونحو غيرهم، وما يجب لهم من حقوق في مجتمعاتهم؛ لنفعهم في عاجلهم وآجلهم؛ حتى يسعدوا في الدارين.

وهذه محاولة مني في بيان لمفهوم الإسلام؛ أخذًا من الآية التي ارتضيتها مفهومًا للإسلام، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا التعريف.

وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**}[2]، "يعني: القرآن فيه ما يتعظ به مَن قَرَأَهُ، وعرف معناه"[3].

"والموعظة: القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف، ويزجر ويرقق القلوب، ويعد ويوعد، وهذا صفة الكتاب العزيز"[4].

والمعنى: يا أيها الناس قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية، الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها، المرغِّبة في المحاسن، والزاجرة عن المقابح، قد

---

(١)الأنعام: (٢١-٢٣).

(٢) يونس: (٥٧).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤٥٣/٢).

(٤) تفسير الثعالبي (١٨١/٢).

جاءكم كتاب جامع لكل المواعظ، أو الوصايا الحسنة، التي تصلح الأخلاق والأعمال، وتزجر عن الفواحش، وتشفي الصدور من الشكوك، وسوء الاعتقاد، وتهدي إلى الحق واليقين، والصراط المستقيم، الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ووصف هذه الموعظة بأنها **(مِن رَّبِّكُم)** للتنبيه على حسنها وكمالها، وضرورة العالم أجمع إليها[1]، وهل نجد أبلغ من الموعظة الربانية؟ وأكثر نفاذًا منها إلى القلوب؟!

والقرآن في الحقيقة موعظة بليغة؛ لأن القائل هو الله جل جلاله، والآخذ جبريل عليه السلام، والمستملي محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف لا تقع به الموعظة[2]، فلو اجتمع الخلق كلهم إنسهم وجنهم وأتوا بالبلغاء والفصحاء، لم يدانوا الموعظة القرآنية، ولم يقاربوها في شيء، فأين كلام من كلام؟ وأين موعظة من موعظة؟ وفي هذا إبراز لعظمة القرآن وعلو شأنه وتأثيره وفاعليته.

والقرآن كذلك موعظة حكيمة محكمة، هي سياط القلوب، وفي الوقت نفسه فرحها واستبشارها، أمرت بكل خير، ونهت عن كل شر، فيجب تلقيها بالرضا والقبول والتسليم، فكفى بالقرآن واعظًا، وكفى بالقرآن زاجرًا، وكفى بالقرآن هاديًا ومذكرًا.

قال تعالى: **{هذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ}**[3].

ويشرف فن الوعظ والإرشاد على بقية فنون الخطابة؛ لأنه وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومَن على سننهم من العلماء العاملين، والهداة الراشدين، والعظماء

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٣/٢٠٤)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ. د وهبة الزحيلي (٦/٢١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١١/١٠٩).

(٣) آل عمران: (٣٨).

المجاهدين؛ فإنهم إنما بعثوا لهداية العالم، وسن طريق السعادة للناس في الدارين، بتعليمهم عند الجهالة، وإيقاظهم من الغفلة، ووقفهم عند حدود الأدب عند التمرد؛ لينقذوهم من حضيض الجهل والرذيلة، إلى ذروة العلم والفضيلة.

وعلى الجملة: فالوعظ والإرشاد هو العلاج الوحيد لصلاح العالم، والدين الحنيف هو الدواء المفيد لشفاء القلوب من مرضها، ولا سلامة للعالم من مخاطر الشفاء إلا به، ولا ريب أنه إذا ترك علاج القلوب من هذه الأمراض استفحل أمرها، ومتى أهمل تطهير النفوس من أدران النقائص والرذائل عظم خطرها، وانتشر الفساد، وهلك العباد، وزاد البلاء، وساء حال المجتمع الإنساني.

فالواعظ الماهر والخطيب الحكيم، يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة، وقاطع الحجة، وساطع البرهان، وقوة البيان، ومتانة علمه، بتأليف وتركيب هذه الأدوية النافعة- أن يصحح القلوب من أمراضها، وينبه العقول من غفلتها، ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل، وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد؛ حتى ترجع عن غيها، وتعود إلى حد الاعتدال، وتتحلى بالفضائل والكمال[1].

الفصل الأول: الإرشاد بالترغيب والترهيب:

سلك أهل الصنعة بالوعظ إلى الله تعالى مسالك متعددة، في سعيهم لإخراج أقوامهم من الضلالة، فرغَّبوهم في رحمة الله، الغالبة على جانب العقاب، وخوَّفهم من نتيجة البقاء على ما هم عليه من العكوف على الدنيا، وإنكار الدار الآخرة، وما فيها من حساب وجزاء، ولا شك أن الإخلاد في الدنيا أصل كل شر، ومنه يتشعب الكثير؛ مما يؤدي إلى سخط الله تعالى.

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والإرشاد (ص٦٢ ــ ٦٤)، ط. مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م.

ولقد أدار الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى مع أقوامهم حوارًا حول العنصر الأول للواعظين، وساقوا الحجج القوية، ونوعوا من طرق الإقناع، ومنها: التخويف بذكر ما حلَّ بالمكذبين من الأمم، وذكروا شُبَه السابقين، وفنَّدوها؛ ليهتدي أقوامهم إلى الرشد، ويتجنبوا الطريق الذي يؤدي بهم إلى ما حلَّ بمن سبقهم من المعارضين عن هدى الله.

والموعظة إلى الله تبشير وإنذار وترغيب وترهيب؛ للوصول إلى استقامة الفطرة، وسلامة الفكر، وحسن الإدراك، ويقظة العقل، ونقاء الضمير، كما هو منهج الوعاظ إلى الله في القرآن الكريم من الرسل وغيرهم.

والترغيب يكون كذلك في الخلق الحسن، والتواضع لله عز وجل، ومعرفة الإنسان بقدرة الله تعالى، وأن الإنسان لا يعلم كل شيء، وإنما تخفى عليه أمور كثيرة، ولا بد من أن يتلقى عن الله ما يبصره ويرغبه، والله يقول: **{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**(١)، وأخرج ابن جرير بسنده، عن عطاء بن يسار، نزلت بمكة: **{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد، ألم يبلغنا أنك تقول: **{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}**، أفعنيتنا أم قومك؟ فقال: "كلا قد عنيت"، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة، وفيها تبيان لكل شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هِيَ فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ أَتَاكُمْ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ**"، فأنزل الله: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ}**، إلى قوله تعالى: **{إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}**(٢).

ومنهج الدعاة إلى الله تعالى مواجهة القلب البشري بما يوقظه، ويحرمه، ويقوده إلى التأمل والتدبر مرة، والخوف والخشية مرة، وإلى التطلع والرجاء

---

(١) الإسراء: (٨٥).

(٢) جامع البيان لآي القرآن، المعروف بتفسير الطبري (٧٢/١٥)، ط. دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، تحقيق د/ عبد الله بن محسن التركي.

مرة، والتهديد تارة، والأطماع تارة؛ ليختار طريقه، وينظر إلى مصيره على علم وهدى، غير متأثر بالحواجز التي تمنعه عن النظر الصحيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقي الروابط على أساس يحقق الطمأنينة في النفوس، ويذكر بما ينبغي أن تكون عليه العلاقات؛ لتحقق الهدف من الموعظة، وعظة الإنسان من طغيان هواه، بتجديد شأن الموعظة فيه.

وهلاك المجتمع يرجع فيما يرجع إليه إلى عدم وجود الدعوة إلى الحق، وعدم معرفة الصواب عند وقوع الأخطاء والانحرافات، فنجاة الإنسان مرهونة بإبداء الرأي، وتوجيه النصح والتحذير والإرشاد وصولًا إلى المنهج المستقيم، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، فقال تعالى: **{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}**(١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للنجاة مما يحلُّ بالمخالفين لدعوة الحق، المعرضين عن الهدى والرشد من عقاب الله عز وجل.

والقرآن الكريم يذكر هذه الحقيقة التي سبقت الإشارة إليها في معرض الحديث عن دعوة موسى عليه السلام، قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}**(٢).

قال الإمام الألوسي في (روح المعاني)، في قوله تعالى: **{لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ}**، أي: مستأصلهم بالكلية، ومطهر وجه الأرض منهم **{أَوْ مُعَذِّبُهُمْ**

---

(١) هود: (١١٦).

(٢) الأعراف: (١٦٤- ١٦٥)، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة محمود الألوسي (٦/ ١٣٤)، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

عَذَابًا شَدِيدًا} دون الاستئصال بالمرة، وقيل: مهلكهم في الدنيا أو معذبهم في الآخرة؛ لعدم إقلاعهم عما هم عليه من الفسق والترديد؛ لمنع الخلود على هذا، وإيثار صيغة اسم الفاعل على الشقين، للدلالة على تحقيق كل من الإهلاك والتعذيب، وتقررهما البتة، كأنهما واقعان، وإنما قالوا ذلك مبالغة في أن الوعظ لا ينجع فيهم؛ إذ المقصود: لا تعظوا أو أتعظون، فعدل عنه إلى السؤال عن السبب؛ لاستغرابه؛ لأن الأمر العجيب لا يدرى سببه، أو هو سؤال عن حكمة الوعظ ونفعه.

وقيل: إن هذا يقال إذا وقع بين الصلحاء الواعظين، كأنه قال بعضهم لبعض: لِم نشتغل بما لا يفيد؟ وتحمل على كلا القولين أن ذلك صدر من القائل بمحضر من القوم، فيكون متضمنًا لحثهم على الاتعاظ؛ فإنَّ بَتَّ القول بهلاكهم أو عذابهم مما يلقى في قلوبهم الخوف والخشية.

وقيل: قائلو ذلك المعتدون في السبت، قالوا: تهكمًا بالناصحين المخوفين، والوعظ الأمر بفعل الخير، وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق، يحملان على الامتثال، والاسم منه الموعظة(١).

وفي تكوين الإنسان خطوط متقابلة، منها: الخوف، والرجاء، والحب، والكره، والطاقة الحسية، والطاقة المعنوية، وكلها لها أهمية في ربط الإنسان بالحياة، وتوسيع أُفُقِه، وتعديد جوانبه، والترغيب والترهيب جزء من منهج الواعظين والدعاة إلى الله عز وجل، الذي يهدف إلى تحقيق التوازن في داخل الإنسان، وتحديد أهدافه وسلوكه؛ بما يتفق والغاية من وجوده، وهو يوجهه إلى القيم الحقيقية التي تكسب بها النفس المطمئنة، وتفوز برضوان الله الذي يحيطها بالرعاية الذي بيده كل شيء، وكل ما عداه مسخَّر له، والخوف منه لا طائل تحته؛ لأنه لا يستطيع أن يغير شيئًا، فضلًا عن تبديده للطاقة وتدميره للكيان.

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٠٨/٣)، ط. دار سحنون، تونس.

والوعاظ والدعاة إلى الله عز وجل إذا ما أحسنوا استخدام منهج الترغيب والترهيب، كما جاء به رسل الله عز وجل ودعاته في القرآن؛ أمسكوا بزمام النفس، وغرسوا فيها كل صالح، وتجد الخلق تنطلق عاملة في سبيل الخير، بعيدة عن الشر والانحراف عن الطريق.

ولقد تلمَّس الدعاة إلى الله في الإنسان مواطن الضعف ومواطن القوة، ولاحظوا مظاهر الاستقامة وبوادر الانحراف؛ ليأخذوا بيده إلى ما ينجيه عن التعادي والنزاع، ويبعد روح الحقد والعداوة والبغضاء، ويحل محله روح المحبة والتآلف والتعاطف والوئام.

وإذا كان الإنسان محتاجًا إلى من يأخذ بيده ويعينه على تصحيح موقفه، دون امتهان لكرامته، أو إساءة إلى عزة نفسه؛ فإن الدعاة إلى الله عز وجل قد عالجوا الضعف بالأمر بالمعروف والترغيب في فعله، والنهي عن المنكر والترهيب من مقارفته، وكانت مهمتهم البلاغ، وكان دورهم التبشير والإنذار؛ وبذلك انتهت مهمتهم لتبدأ مهمة المدعوين في التفكير فيما دُعوا إليه، والتأمل فيما بُشروا به وحُذروا منه؛ ليصيروا إلى الإيمان عن قناعة، أو يستمروا على ما هم عليه متحملين للتبعة، وليس ذلك الأمر بداخل مهمة الدعاة إلى الله تعالى ومسؤوليتهم(١).

على أن قيام الدعاة إلى الله بمسؤولية التبليغ له أهميته، ونجاحهم في القيام بواجبهم متوقف على عدم إغفال أداة من أدوات التبليغ، أو انشغال بغيره مما لا يدخل في نطاق مهمتهم الواضحة، من تبليغ كلمة الله، والدعوة إليه في دقة وحذر، كما فعل القدوة الذين نأخذ منهم العبرة، ونسير في طريقهم طريق الخير

(١) أسلوب الدعوة في القرآن الكريم، د/ محمد حسين فضل الله، بتصرف، ط. دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع.

والطاعة، والإعانة على ذلك بكل ممكن، وحسم طريق الشر والمعصية، ودفع ما يفضي إليه[1].

وأكثر ما يضر بالوعظ إلى الله: أن يغفل الواعظون ما هو داخل في نطاق مهمتهم، وينشغلوا بما ليس داخلًا في نطاقها؛ مما يعود بالضرر عليهم، وعلى الدعوة التي وهبوا لها أنفسهم، وحملوا شرف استمرارها في الناس حجة عليهم.

المبحث الأول: التدرج في الهداية:

من الملاحظ أن التحرك نحو عقيدة جديدة لا يكون فجأة وبلا مقدمات، وإنما يتم عن طريق زحزحة الإصرار على العقيدة الباطلة، إلى التأرجح، ثم تقيم العقيدة الجديدة، ثم يداوم مراجعة الموقف، حتى ينتهي الأمر إلى الإيمان بها والإصرار عليها والدفاع عنها إذا سارت الأمور على ما ينبغي؛ ومن هنا نجد الدعاة إلى الله عز وجل يبدأون دعوتهم في تلطف وحذر، ثم يعقبون ذلك بالصراحة والوضوح، ويوردون الحجج، ويحذرون من عواقب الإصرار على الباطل؛ ليأخذ أقوامُهم أنفسَهم إلى الحق الذي أدركوه، وقد ربطوا في دعوتهم بين سنة الله في نصرة العقيدة، والحق الذي به قامت السماوات والأرض، ووصلوا بين ماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وعرضوا مشاهد الكون وأحوال النفس وعجائب الفطرة؛ ليرفعوا تصور الإنسان لحقيقة الارتباط والعلاقة في هذا الكون، فيشعر بدقة السنن التي تحكمه وتصرف أحداثه، ويدرك موقفه، ويؤدي دوره على بصيرة، وينهض بتكاليفه في ثقة وطمأنينة؛ وصولًا إلى ذروة الكمال اللائق بالإنسان الذي خلقه الله بيده، وجعله في الأرض خليفة، وزوَّده بالطاقات وأمده بالنعم، وتدرج الدعاة إلى الله تعالى في المقال حتى لا ينفروا الناس منهم وهم يصرفونهم عن الرذائل إلى الفضائل، بلطف في القول،

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط. الشعب.

وترفق في المعاملة، وتحرٍّ في الإقناع بالحجة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا الطريق هو الطريق الوحيد الصحيح الذي لا يسبب العناد.

والواعظون الذين ذكرهم القرآن يدل منهجهم على يقينهم بأن الله حق لا بد أن يسود، وأن هديه لا بد أن يعلو، إذا انطلق الواعظون إليه متحررين من قيود الرغبة والرهبة، مؤثرين ما عند الله، معتزين بالعمل له، راجين جنابه، دون مبالاة بوعد أو وعيد.

ومن تدرجهم في الدعوة إلى الله عز وجل نأخذ عبرة توضح أن الوحي كان يعلِّم الرسول شيئًا جديدًا كل يوم، ويرشده ويهديه ويثبته، ويربي أصحابه، ويصلح عاداتهم، ويجيب عن وقائعهم في فترة زمنية امتدت من بدء الرسالة إلى انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة عشر سنين، ومات صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة"(١).

فالتدرج في الدعوة منهج سلكه الدعاة إلى الله عز وجل، وأقرته رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء خطاب الله عز وجل له في القرآن، قال تعالى: **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}**(٢).

ويلاحظ أن أول ما نزل من القرآن بمكة كان يدعو إلى أصول الإيمان، ثم كان بعد ذلك بيان الحلال والحرام، وأن أبغض الأشياء لم يحرَّم دفعة واحدة، وإنما حُرِّم على التدريج؛ رحمة من الله بعباده، وأخذًا لهم بالرفق؛ وذلك رفعًا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٢٨٧/٧) (ح ٣٩٠٢) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي.

(٢) الإسراء: (١٠٦).

للحرج والمشقة، حتى كان ينهاهم عن كثرة السؤال؛ خشية أن تفرض عليهم من التكاليف الجديدة ما لا يطيقون، أو يستاءون من أمر ظهر لهم لا يعرفونه، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}**(١)، ومعرفة مراحل الدعوة الإسلامية توقف خطواتها الحكيمة المتدرجة، مع الأحداث والظروف المتجاوبة، مع البيئة المختلفة الأسلوب، في مخاطبة كل ما يناسب حاله(٢).

ومِن تدرج الوعاظ إلى الله عز وجل في منهج عرض الدعوة: اكتفاؤهم بعرض الخطوط العريضة لها؛ حتى تتاح الفرصة لعرض بقية التفاصيل وشرحها، بعد أن تكون الصدور قد انشرحت للحق، والنفوس قد هُديت إلى الإيمان واليقين، وتطهرت من الأوهام والخرافات، وتكلمت بالمعارف؛ وذلك منهم تمشيًا مع الحكمة في الدعوة، والتدرج في الإرشاد إلى الحق في العقيدة والرسالة، وسائر ما جاءت به الدعوة من التكاليف.

المبحث الثاني: القدوة الحسنة:

والقدوة الحسنة من أفضل وسائل نجاح الوعظ والإرشاد وأعظم مناهجها؛ لأن كل دعوة تظل مجرد فكرة، إلى أن تتحول إلى حقيقة واقعة، بدعاة يجعلونها بسلوكهم وتصرفاتهم ومشاعرهم وأفكارهم واقعًا ملموسًا، ويكونون بذلك قدوة لغيرهم، وصورة حية للمنهج الذي يدعون إليه، وعندئذ تتعلق بهم القلوب، والناس حين يرون الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى يصبرون على الأذى، ويتحملون المكروه، ويغالبون النفس على هذا الاحتمال، ويتجردون لله عز وجل، وهم بشر مثلهم؛ تتحرك نفوسهم، وتهفو مشاعرهم، ولا تسكن أبدًا، ويتعدى هذا الأثر إليهم بالقدوة الصالحة، ويعين على رفض الخضوع والمذلة،

---

(١) المائدة: (١٠٤).

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص١٦٦)، ط. دار العلم للملايين.

وعلى التفكير في كل الأمور، ويصبح ذلك المجال مفتوحًا أمام الدعاة لربط القلوب دائمًا بالله في كل حادثة وكل شعور، إذا ما جمعوا إلى القلب الواعي الإدراك البصير، ولم يضيعوا اللحظة المناسبة للتوجيه، وعقدوا العقدة الوثيقة التي لا تُحل، وطبعوا الطابع الذي لا يزول[1].

والدعاة إلى الله هم الأداة الموصلة للمفاهيم، وطبع الناس عليها؛ ليكونوا صدى للتفاعل معها، وأثرًا من آثارها، في العقيدة والعبادة والسلوك، والدعاة الذين ذكرهم القرآن الكريم امتلأت نفوسهم بالدعوة، فتحركوا للعمل في واقع الأرض، وأودعوا فيها الحيوية والحركة ما استطاعوا به أن يثبتوا جذورها في التربية الصالحة، وأن يحولوها بتنفيذهم منهجًا من واقع شعوري، إلى واقع عملي يكون لصاحبه رأي إزاء كل شيء؛ لأن له تصورًا خاصًّا لما ينبغي أن يكون بالنسبة لتصحيح الأوضاع، وضبط المقاييس، ووزن الأمور، فها هو صاحب (يس) عندما علم بموقف قومه من الرسل، لم يتوان، وإنما جاء من أقصى المدينة يبيِّن الهدف، ويحدد الطريق، ويعلن الحق الصريح، ويرسم الصورة التي لا تخرج عن حدود الطاقة، ولا تمتنع عن التحقيق، وهو بعلمه قد أقام الدليل على أن رجلًا واحدًا قُدوَة يستطيع أن يفعل في مجال الدعوة ما لا يستطيع فعلَه غيرُه، وأن يكون له مع قومه دور يؤديه؛ باعتباره حجة قائمة فيهم، وباعتبار قوله نصيحة موجهة إليهم، تستلُّ من نفوسهم محاربة الحق والاستكبار عن قبوله، وتنذرهم عاقبة الاستمرار فيما هم عليه، وتضرب لهم الأمثال بمصائر المكذبين من قبلهم، كما تخوفهم من عذاب الدار الآخرة التي لا عاصم فيها من أمر الله ولا شفيع إلا من بعد إذنه، وفي كل ذلك كان ثابتًا لا

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب (ص١٦٦)، بتصرف، ط. دار الشروق، بيروت.

يتخلى عن موقع الحريص على خير أمته، المضحي بنفسه في سبيل الحق الذي يدعو إليه، مهما حمَّله ذلك من جهود[١].

على أن القدوة يعيدون إلى الدعوة شبابها؛ لتنسجم مع المجتمع، بما يملكونه من الإيمان القوي، والسمو الروحي، إلى جانب النزاهة عن الأغراض، والبعد عن الشهوات، والتفاني في سبيل الدعوة؛ وهم من أجل ذلك كله يثبتون في الناس روحًا جديدة، وثقة وحماسة، واستنارة عقلية[٢].

والدعاة الواعظون إلى الله الذين ذكرهم القرآن الكريم قام كل واحد منهم بدوره، وساهم بقسطه المطلوب منه في حقل الوعظ والتوجيه، وكان جهدهم موجهًا إلى اكتساب أكبر عدد ممكن إلى جانب الدعوة ومبادئها، سالكين كل الطرق التي تتيح لهم تحقيق هذا الهدف، آملين أن تسري منهم إلى غيرهم تلك الروح؛ ليلتزموا بنفس التعاليم، ويسيروا في نفس الاتجاه، ويتذوقوا العمل، ويقتنعوا به، ويدافعوا عنه بخطوات متزنة ثابتة، لا تنحرف ولا تزيغ، إخلاصًا للحق، وانسجامًا مع روح التبليغ[٣].

وإذا كانت سنة الله قد جرت بأن يكون لكل داع أعداء يبذلون جهدهم لصرف الناس عن دعوته، فإن على الدعاة أن يوطنوا أنفسهم وأتباعهم بالصبر؛ حتى يأتيهم النصر، وأن يلتزموا بالحلم الواسع، والأدب الجم الذي به يستولون على العقل النادِّ والنفس العازفة، وأن يوضحوا الحجج، وينبهوا إلى موضع الخلل والفساد؛ ليكونوا بذلك قدوة من قدوة الخير والهدى، شأن الدعاة الذين ذكرهم القرآن الكريم كنموذج لدعاة الحق وهداة الرشد من غير الرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) إلى القرآن الكريم، الشيخ محمود شلتوت (ص١٦٦).

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (٢٥/١) بتصرف، ط. دار ابن كثير، سنة١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٣) أسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله.

وإذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام هم القمة الشامخة والأسوة الحسنة، وكان الناس مطالبين بالاقتداء بهم، وهو أمر ممكن، وقد وقع على درجات متفاوتة، بحسب ما لكل إنسان من طاقة، وما يبذل من جهد، فإن الدعاة الذين ذكرهم القرآن الكريم من غيرهم هم النموذج للدعاة الذين لا يوحى إليهم، واتباعُ منهجهم اتباعٌ للرسل عليهم السلام، وفيه من الفوائد ما لا يحصى، والقرآن الكريم الذي حدثنا عنهم كله نور وهدى **{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ}**[1].

لقد عارض هؤلاء التياراتِ المنحرفة، ورفعوا صوتهم بالحق، وتحدوا القوى الظالمة، وفتحوا نوافذ القلوب؛ لتُقبل على الله، وهم قدوة حسنة للدعاة إلى الله الذين يساهمون بقسط وافر في الإصلاح، ويجمعون القلوب على طريق الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وإليه المرجع والمآب؛ ابتغاء الأجر من الله وحده.

وسلَك الدعاة إلى الله تعالى مسلَك الرسل عليهم السلام في الابتعاد عن أية مصلحة شخصية من وراء مباشرتهم الوعظ إلى الله سبحانه وتعالى، وإنما ابتغوا الأجر من الله وحده، وكل منفعةٍ تعود وراء الدعوة، إنما تعود على المؤمنين بها المهتدين بهديها، لقد كانوا ناصحين لأقوامهم، ساعين في طلب ما يعود عليهم بالخير، ويدفع عنهم الشر، سعيهم في حق أنفسهم، مصدقين رسل الله عليهم السلام، ناصرين لهم، حاثين الناس على الاستجابة لدعوتهم، متلطفين في تحذيرهم وتذكيرهم بالنعم التي توجب الشكر لله عز وجل، واختلطت تعاليم الرسل عليهم السلام بقلوبهم، واصطبغت حياتهم كلها بصنعة الحق، وتركزت أنظارهم على المطمح الأسمى، وانعقدت عزائمهم على الغاية المنشودة، فجددوا عقد الولاء بينهم وبين الله.

---

(١) ص: (٢٩).

ولقد أرادوا الصعود بالإنسان إلى المرتقى الذي ينبغي أن تكون عليه حياته؛ لينجو من أهوال يوم القيامة، ويفوز بالنعيم الذي أعده الله لمن آمن وعمل صالحًا، وأخلصوا لله القلب، وابتغوا منه وحده الأجر، وفي جواره وحده تكون ثقةُ النفس، وهدوءُ البال، وراحةُ الضمير.

وإذا كان أجر الدعاة على الله وحده، وكان اعتمادهم عليه؛ فإنه سبحانه وتعالى يقيهم من أعداء الدعوة والمتربصين بها؛ ضمانًا لوجودهما بين الناس، ليجنبوا الناس الأخطار، وهم لا يأخذون على ذلك أجرًا؛ لتمحضهم لفعل الخير، وابتغائهم وجه الله وحده، وحفظهم الأمانة وتبليغهم الدعوة، وهم يجمعون من الصفات ما يجعل نجاحهم في أداء مهمتهم أكثر احتمالًا، وهم لا يلحقهم اليأس إذا ما تلقى الناس دعوتهم بما لا ينبغي، ويظلون متمتعين بالعاطفة القوية الجياشة، والقلب المبارك الفياض، واللسان البليغ النافذ البصير، والتواضع في كل ما يخص النفس والعقل المنير، والفهم المشرق الواسع.

ومع كل هذه الصفات يظلون لا يطلبون في الناس رياسة، ولا يحرصون على وجاهة في الدنيا؛ لأن همتهم متوجهة إلى طلب الآخرة، ولا يحترفون بالدعوة إلى القيم العليا، ولا يجعلونها وسيلة لغيرها، بل هي الهدف الذي يحملون لواءه، ويتحملون في سبيل نشره الصعاب[1].

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته، وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما بيَّنه القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية المطهرة.

---

(١) نحو القرآن، د/ محمد البهي (ص٤٣) بتصرف.

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى عن نوح عليه السلام: {**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}(١)، وفي موضع آخر: {**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}(٢)، وقال تعالى عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: {**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}(٣)، وقوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**}"(٤).

المبحث الثالث: من أساليب الترغيب والترهيب التذكير بالنعم:

ومن أساليب الترغيب والترهيب: تذكير القوم بما هم عليه من نعم، وأن من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الذي أنعم عليهم بهذه النعم، والتحذير من فقدهم لها إذا امتنعوا من الاستجابة وكفروا بالله، ومع زوال النعم نزولُ العذاب.

ومن الآيات الكريمة المبيِّنة لهذا النوع من الأسلوب: قوله تعالى عن هود عليه السلام: {**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}(٥)، وقال تعالى عن هود عليه السلام

---

(١) الأعراف: (٦٣).

(٢) نوح: (١ – ٣).

(٣) التغابن: (٨– ٩).

(٤) محمد: (١٢).

(٥) الأعراف: (٦٩).

أيضًا: {**واتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)[1].

أمدكم بما تعلمون، وهو حاضر بين أيديهم، يعلمونه ويعرفونه ويعيشون فيه، ثم يفصل بعض التفصيل (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون)، وهي النعم المعهودة في ذلك العهد، وهي نعمة في كل عهد... ثم يخوفهم عذابًا عظيمًا في صورة الإشفاق عليهم من ذلك العذاب، فهو أخوهم، وهو واحد منهم، وهو حريص ألا يحل بهم عذاب ذلك اليوم الذي لا شك فيه، ولكن هذه التذكرة وهذا التخويف لا يصلان إلى تلك القلوب القاسية الفظة الغليظة فإذا الإصرار والعناد والاستهتار".

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: {**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**}[2].

من لوازم الترغيب والترهيب:

لما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويشاهدها، ويحس بها، ويتعرض لإغراءاتها؛ مما قد يجره إلى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة، فلا بد إذن من تنفير المدعوين من إيثارها على الآخرة – لا من الفرار منها جملة واحدة – مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، وقد بيَّن ذلك كله القرآن الكريم خير بيان؛ مما جعل أيَّ مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل تجعل المدعو غير المسلم منجذبًا إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجرُّه ذلك إلى الإيمان؛ لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا.

---

(١) الشعراء: (١٣١ – ١٣٥).

(٢) الأعراف: (٧٣).

ومن الآيات القرآنية في هذا الباب قوله تعالى: {**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}(١).

قال الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه (التفسير المنير): "هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للحياة الدنيا، في سرعة انقضائها وزوال بهجتها ونعيمها، وهو أن صفة الحياة الدنيا العجيبة كالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء المطر المنزل من السماء، فإذا هطل على الأرض أنبت نباتات شتى، تشابكت واختلط بعضها ببعض، منها ما يأكله الناس من زروع وحبوب وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، ومنها ما تأكله الأنعام من أقوات ومراع وغير ذلك، وقوله: (فاختلط به نبات الأرض)، أي: اختلط بالماء نبات الأرض، حتى إذا اكتمل نمو النبات وازدهر، و(أخذت الأرض زخرفها) أي: حسنها وزينتها الفانية، (وازَّينت) بأبهى أنواع الزينة، أي: تزينت وحسنت بما خرج في رباها ووهادها من زهور نضرة، مختلفة الأشكال والألوان وحبوب وثمار، (وظن) أي: أيقن أهلها الذين زرعوها وغرسوها أنهم متمكنون قادرون من جذاذها وحصادها والانتفاع بها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها.

ويلاحظ أنه أخبر عن الأرض وأراد النبات إذا كان مفهومه وهو منها، وهو معنى قوله: (أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا)، أي: نزل بها قضاؤنا المقدر لهلاكها ليلًا نهارًا، فجعلناها كالأرض المحصورة يابسة، بعد الخضرة والنضارة، كأن لم تنبت، وكأنها ما كانت حينًا قبل ذلك، وهكذا الأمور بعد

(١) يونس: (٢٤).

زوالها كأنها لم تكن، كما قال تعالى: {**أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**}(١)، وقال تعالى إخبارًا عن المهلكين: {**فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**}(٢).

وجاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه: (**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُغْمَسُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا، ويُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا، فَيُغْمَسُ فِي النَّعِيمِ غَمْسَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا**).

ثم قال تعالى: (كذلك نفصل الآيات) أي: كهذا المثل المبين الذي يوضح حال الدنيا وسرعة زوالها: نبين الحجج والأدلة الدالة على إثبات التوحيد والجزاء، وكل ما فيه صلاح الناس في معاشهم ومعادهم لقوم يتفكرون في آيات الله، أي: يستعملون تفكيرهم وعقولهم في الاتعاظ والاعتبار بهذا المثل، في زوال الدنيا عن أهلها زوالًا سريعًا، مع اغترارهم بها وتمكنهم من خيراتها، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها والطلب لمن هرب منها.

وتشبيه الدنيا بنبات الأرض كثير في كتاب الله، مثل الآية السابقة في سورة الحديد، ومثل آية الكهف: { **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**}(٣)، وقوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ**

---

(١) الأعراف: (٩٧- ٩٨).

(٢) هود: (٦٧ - ٦٨).

(٣) الكهف: (٤٥)، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠٣/٣)، بسنده عن أنس رضي الله عنه، ط. المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب صفة أنعم أهل الدنيا في النار، وصفة أشدهم بؤسًا في الجنة=

يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(١)، أفادت الآية أن الحياة الدنيا سريعة الزوال والانقضاء، وأن معيشة الناس والأنعام تعتمد على خيرات الأرض، وأن الإنسان عاجز ضعيف أمام قدرة الله وسلطانه، وأن مراد الله وأمره بشيء كالعذاب والهلاك هو النافذ، وأنه تعالى يبين الآيات والأمثال لمن يستخدم تفكيره وعقله فيها، فإن عاقبة هذه الحياة الدنيا كعاقبة الذي تعلقت الآمال بالانتقاع به، فحين عظم الرجاء بالمنفعة وقع اليأس منها.

والمقصود من الآية: ألا يعتمد المرء على نعيم الدنيا بنحو دائم، وألا يغتر بزخارفها، وينسى ما يجب عليه نحو الآخرة؛ فيكون هو الخاسر خسارة كبرى لا تعوض؛ إذ إنه يكون من الذين خسروا الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله تعالى: **{فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}**(٢).

وفي السنة النبوية المطهرة تحذير من الدنيا وإيثارها على الآخرة، وقيمتها بالنسبة للآخرة، من ذلك الحديث الشريف: **{إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ}**(٣)، وعن أبي سعيد الخدري قال: (صلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا صلاة العصر بنهار، ثم قام خطيبًا، فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلا

=(٢١٦٢/٤) (ح ٢٨٠٧)، بسنده عن أنس بن مالك، ط. عيسى الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة النار (١٤٤٥/٢)، ط. مصطفى الحلبي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، والحديث رقمه عند ابن ماجه (٤٣٢١).

(١) الزمر: (٢١).

(٢) التفسير المنير في العقدة والشريعة والمنهج (١٤٨/١١ ــ ١٥١).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة (٤٨٣/٤)، ٤٨٤) (ح ٢١٩٦).

أخبرنا به، حفظه مَن حفظه، ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءَ**.... جزء من حديث، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح)[1].

قال الإمام المناوي في فيض القدير (٥٤٤/٣) في حديث **(الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ)**، قال: أي مشتهاة مونقة، تعجب الناظرين، فمن استكثر منها أهلكته، كالبهيمة إذا اكثرت من رعي الزرع الأخضر أهلكها، ففي تشبيه الدنيا بالخضرة التي ترعاها الأنعام إشارة إلى أن المستكثر منها كالبهائم، فعلى العاقل القناعة بما تدعو الحاجة منها، وتجنب الإفراط والتفريط في تناولها؛ فإنه مهلك، والاستخلاف إقامة الغير مقام النفس، أي: جعل الدنيا مزينة لكم؛ ابتلاء لكم، فينظر هل تتصرفون فيها بغير ما يرضاه، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: **(اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَةِ)**[2]، وقال صلى الله عليه وسلم في بيان قدر الدنيا بالنسبة إلى الآخرة: **(مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ)**[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة النساء (١٣٢٥/٢ ــ ١٣٢٦) (ح ٤٠٠٠) بنفس طريق الترمذي ولفظه، إلا أنه مختصر، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٩/٣) من طريق يزيد بن هارون، قالا: حدثنا حماد بن زيد... إلى آخر طريق الترمذي، ولفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (٢٧٥/١١) (ح ٦٤١٣)، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، "فأصلح الأنصار والمهاجرة"، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، وهي الخندق (١٤٣١/٣) (ح ١٨٠٥)، حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار "واللفظ لابن المثنى"، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة... إلى آخر طريق البخاري ولفظه، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي موسى الأشعري رضى الله عنه (٦٩٤/٥) (ح ٣٨٦٦)، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة... به، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا (٢١٩٣/٤) (ح ٢٨٥٨)، بسنده عن مستورد.

أهمية التأصيل الإسلامي للإرشاد:

لقد أدرك أهميةَ التأصيل الإسلامي للإرشاد الكثيرُ من علماء النفس في البيئة الإسلامية، فأخذوا ينقبون في القرآن الكريم والسنة الشريفة واجتهادات علماء المسلمين؛ مما يسهم في بناء علم نفس إرشادي مرتبط بالثقافة الإسلامية.

ولقد بدأت تظهر منذ بداية الستينات حتى الآن المقدمات التي قام بها علماء النفس، التي تنادي بأهمية الإفادة من التعاليم والقيم الدينية الإسلامية في الإرشاد النفسي والصحة النفسية، وترى أن الإيمان الحقيقي بالله قوة هائلة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الناتج عن الاهتمام بالحياة المادية، ويمثل الدين أهمية كبيرة بما يمثله من جانب روحي وأخلاقي في الإنسان، ويعتبر هو حجر الزاوية في الإرشاد النفسي الديني، فهو يخاطب الروح بما يحمله من سمو ورفعة، وما يحثُّ عليه من أخلاق حميدة، وتمسُّك بالقيم والمثل العليا والإرشاد بين تلك الجوانب والأبعاد، وتلك العلاقات التي تربط الإنسان بجوانبه المختلفة، ويؤدي الدين جملة من الوظائف التي لا غنى عنها لكل من الفرد والجماعة، وكونه عاملًا مهمًّا في حياة الإنسان النفسية، وعنصرًا أساسيًا في نمو شخصيته، وأعظم دعائم السلوك؛ حيث يوفر قاعدة وجدانية تضمن الأمن والاطمئنان النفسي والاتزان الانفعالي والتفاؤل والحب للحياة، وعدم النظرة إليها نظرة تشاؤمية، وتأكيد الهوية؛ لما يوفره الإحساس الديني من الإحساس بالسعادة والرضا والقناعة والإيمان بالقضاء والقدر، ويخفف من وطأة الكوارث والأزمات التي تعترض طريق الفرد، فيشعر بالاطمئنان، وعدم الخوف أو التشاؤم من المستقبل، من خلال إطار علاقة الإنسان بخالقه التي تعد موجهًا لسلوكه في شتى مناحي الحياة، وفي كل مرحلة عمرية من حياة الإنسان[1].

(١) انظر: الإرشاد النفسي الديني، دكتور محمود فتوح (ص١٤).

وتتسم مرحلة المراهقة بنوع من اليقظة والنضج الديني، والحاجة إلى تعقل الدين والشعائر الدينية، وإن علم النفس وعلم الاجتماع قد أفردا فرعًا مستقلًا لتناول الظاهرة الدينية – سيما علم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني– على أساس أن الدين يعد تجسيمًا لأعلى الطموحات الإنسانية، باعتباره حصن الأخلاق الذي يعد المصدر الأساسي لأمن الأفراد لتحقيق السلام الداخلي لهم، وأظهرت الكثير من الدراسات أن الدين يؤدي دورًا إيجابيًّا في الوقاية من أعراض الاضطرابات النفسية لدى المراهقين؛ نظرًا لارتباط ارتفاع مستوي التدين بالكثير من الجوانب الإيجابية لدى الأفراد، فيؤدي إلى صحة نفسية أفضل وقدرة أكبر على مجابهة الأمراض، والتغلب على آثارها السلبية، وسرعة الشفاء من الأعراض النفسية، والقدرة على تحمل الضغوط الناتجة عن أحداث الحياة القاسية(١).

الفصل الثاني: الإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة:

قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥].

١-معنى الحكمة في اللغة:

الحِكمة مصدر حَكَم، أي: صار حكيمًا، وهو مأخوذ من مادة (ح ك م) التي تدل على المنع(٢) أو المنع للإصلاح(٣)، ومنه الحُكم بمعنى: المنع من الظلم، وحكَمة اللجام؛ لأنها تمنع الدابة عما لا يريده صاحبها، والحكمة لأنها تمنع من الجهل.

---

(١) الإرشاد النفسي الديني، دكتور محمود فتوح (ص١٤).

(٢) ذهب إليه ابن فارس في مقاييس اللغة (٩١/٢).

(٣) ذهب إليه الراغب في مفرداته (ص١٢٦).

وفي المصباح المنير: الحُكم: القضاء، وأصله المنع، يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه، فلم يقدر على الخروج من ذلك... ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال... وأحكمت الشيء بهمزة القطع: أتقنته، فاستحكم هو صار كذلك، ويقول الجوهري: الحكم مصدر قولك: حكم بينهم، يحكم، أي: قضى، ويقال: حكم له أو عليه، والحكم أيضًا: الحكمة (المانعة من الجهالة)، والحكيم: العالم، والحكيم، صاحب الحكمة، والحكيم: المتقن للأمور، وقد حكم أي: صار حكيمًا.

وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضًا رُوَيْدًا = إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

أي: إذا حاولت أن تكون حكيمًا، ويقال: أحكمت الشيء، فاستحكم أي: صار محكمًا، ويقال أيضًا: حكمت السفيه وأحكمته: إذا أخذت على يده، قال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ = إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

ويقال: حكَّمت الرجل تحكيمًا إذا منعته مما أراد، ويقال: حكَّمته في مالي إذا جعلت إليه الحكم فيه، واحتكموا إلى فلان وتحاكموا بمعنًى، أي: تخاصموا إلى الحاكم، والمحكم هو الشيخ المجرب المنسوب إلى الحكمة، واستحكم الرجل إذا تناهى عما يضره في دينه ودنياه.

وقال الراغب في مفرداته: الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، ويختلف معنى الحكمة باختلاف من يتصف بها، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا وصف به لقمان في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ}**[1].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٩١/٢)، والمصباح المنير، للفيومي (٢٠٠/١)، والصحاح، للجوهري (١٩٠٢/٥)، ولسان العرب، لابن منظور (٩٥١/١)، والمفردات، للراغب (ص١٢٦، ١٢٧)، والنص القرآني من سورة لقمان: ١٢.

٢ – معنى الحكمة في الاصطلاح:

عرف العلماء الحكمة تعريفات كثيرة، تبعًا لتعدد المعنى اللغوي، فقال ابن الأثير في (النهاية): الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[١]، وقال الكوفي: الحكمة عند العلماء هي استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها، وقال بعضهم: هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للنفس الإنسانية وما عليها، المشار إليه بقوله تعالى: **{وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}**[٢].

وقد ذكر التهانوي وابن حجر وغيرهما للحكمة تعريفات عديدة، تختلف باختلاف نوع الحكمة من ناحية، واختلاف من يتناولها من العلماء من ناحية أخرى، من هذه التعريفات ما يلي:

١– عند المفسرين:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الحكمة هي المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله[٣]، وقال قتادة: الحكمة: الفقه في القرآن، وقال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل في الدين[٤].

وقال التهانوي: الحكمة: معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، وهو التكاليف الشرعية[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤١٩/١).

(٢) الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي (٢٢٢/٢)، والنص القرآني من سورة البقرة: (٢٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).

(٤) تفسير ابن عطية (٣٦٤/١).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٣٧٠/١).

٢- عند المحدِّثين:

قال ابن حجر: واختلف في المراد بالحكمة، فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل: غير ذلك[١].

ثم نقل عن الإمام النووي قوله: في الحكمة أقوال كثيرة مضطربة صفى لنا منها: أن الحكمة هي العلم المشتمل على المعرفة بالله، مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك[٢].

٣- عند الفقهاء:

قال الإمام مالك: الحكم هي الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفًا في أمر دنياه، عالمًا بأمر دينه، بصيرًا به، يؤتيه الله إياه، ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله[٣].

٤- عند أهل السلوك:

نقل التهانوي تعريف أهل السلوك للحكمة بأنها: معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات[٤].

٥- عند علماء الدعوة:

يراد بالحكمة في باب الدعوة أن يكون الداعية فاهمًا لقصده، عارفًا بأفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه، وأن يكون عالمًا بقواعد الدعاية بالنسبة لكل نمط وطائفة من طوائف المدعوين[٥].

---

(١) فتح الباري (١٢٦/٧).

(٢) المرجع السابق (٥٤٩/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٢٣/١).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٣٧٢/١).

(٥) الدعوة إلى الإسلام، لأبي بكر ذكري (ص١٥٠).

وقيل: إنها تعني النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم الداعية في كل مرة، حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

المبحث الأول: استعمالات الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولًا: في القرآن الكريم:

وردت الحكمة في القرآن الكريم في آيات كثيرة، مستعملة في عدة معان، منها:

١- السُّنة: ومنه قوله تعالى: **{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}**(١)، وقوله عز وجل: **{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}**(٢).

٢- **النبوة:** ومنه قوله تعالى: **{فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ}**(٣)، وقوله سبحانه: **{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ}**(٤).

٣- **الفهم:** ومنه قوله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ}**(٥).

٤- **الفقه في القرآن:** ومنه قوله تعالى: **{يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ}**(٦).

---

(١) البقرة: (١٢٩).
(٢) البقرة: (١٥١).
(٣) البقرة: (٢٥١).
(٤) ص: (٢٠).
(٥) لقمان: (١٢).
(٦) البقرة: (٢٦٩).

٥- **الموعظة:** ومنه قوله تعالى: **{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ}**[١].

٦- **القرآن،** وقيل: التلطف واللين: ومنه قوله تعالى: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[٢].

ثانيًا: في السنة النبوية:

كما ورد لفظ الحكمة في جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)**[٣].

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: **(اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ)**[٤].

---

(١) البقرة: (٥).

(٢) النحل: (١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة؛ لقوله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} (٣٥٤/٤)، (ح ٧١٤١)، بسنده عن عبد الله بن مسعود، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة، سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها (٥٥٩/١) (ح ٨١٦)، بسنده عن عبد الله بن مسعود، ط. دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الجبار.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (٦٨٠/٥) (ح ٣٨٢٤)، بسنده عن عبد الله بن عباس، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ط. دار الحديث، القاهرة، بتحقيق: إبراهيم عطوة.
وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما (٤٥٣/٢) (ح ٣٧٥٦)، بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(فُرِّجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ...** الحديث)[1].

المبحث الثاني: الحكمة في جانب الداعية:

تقتضي الحكمة بالنسبة للداعية: أن يكون بالغًا درجة عالية من الكمال البشري في جانبين، هما: أولًا: الجانب الأخلاقي والسلوكي، وثانيًا: الجانب العلمي والثقافي، بحيث يكون بالأول متصفًا بكل الصفات الإسلامية، التي تزكي سلوكه، وتسمو بأخلاقه، بما ينعكس إيجابيًّا على دعوته، ويكون بالثاني واسع العقل والإدراك، ملمًّا بكل ما يتصل بعلوم الدين تفصيلًا وعلوم الدنيا إجمالًا، فيكون بذلك داعية إلى الله تعالى مستكملًا لكل جوانب الدعوة السلوكية والقولية.

وسنبدأ أولًا بالحديث عن الجانب الأخلاقي والسلوكي، ثم نثني بالجانب العلمي والثقافي.

المطلب الأول: الجانب السلوكي والأخلاقي:

يُعَدُّ الجانب السلوكي والأخلاقي المستمد من منهج الإسلام الحنيف بالنسبة للداعية، من أهم الجوانب التي تبعث على الحكمة؛ مما ينعكس على دعوته، ويؤدي إلى تأثيره في مدعويه، ونعني بالجانب السلوكي والأخلاقي هنا: التزام الداعية بأخلاق الإسلام، وضبط سلوكه وفق منهجه، فالداعية مبلغ عن الله تعالى ما أوحى به سبحانه إلى رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم (كتابًا وسنة)؛ ليهدي الناس إليهما، ولن يتحقق الناس إليه، حينئذ تنجح دعوته وتؤتي ثمارها، وإلا فشلت دعوته، وذهبت جهوده في ذلك أدراج الرياح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١٣١/١)، (ح ٣٤٩)، بسنده عن أنس.

ولا شك أن أخلاق الداعية المخلص في عمله الدعوي هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه، وفصلها رسوله صلى الله عليه وسلم في سننه، وعاشها واقعًا ملموسًا في سيرته، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم، والأخلاق الحسنة إن كانت لازمة لكل مسلم، لكنها في حق الداعية ألزم، وهاكم بعض هذه الأخلاق:

١- التقوى:

ويقصد بها: فعل المأمورات واجتناب المنهيات، وهكذا ذكر الفيروزآبادي في بيان معناها، فقال: التقوى البالغة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر، وهو المعصية والفضول، فعلى ذلك تنقسم إلى فرض ونفل.

وقيل: هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك، وقيل: هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه حسب الطاقة، قال الحليمي: حقيقة التقوى فعل المأمور به والمندوب إليه، واجتناب المنهي عنه والمكروه المنزه عنه؛ لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار، وهو إنما يقي نفسه من النار بما ذكرت[١].

وقد دعا القرآن الكريم إلى التحلي بالتقوى في كثير من آيات القرآن الكريم، منها:

- قوله تعالى: **{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ}**[٢].
- وقوله تعالى: **{قُلْ لَا يَسْتَوِي الخَبِيثُ والطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (٢/٣٠٠).

(٢) البقرة: (١٩٧).

(٣) المائدة: (١٠٠).

• وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**(١).

كما دعت السنة المطهرة إلى التقوى في كثير من أحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، من ذلك:

• ما روي عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع، فقال: **(اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ)**(٢).

• وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)**(٣).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلًا جاءه، فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلك، فقال: **(أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ)**(٤).

فعلى الداعية أن يكون حظه من تقوى الله تعالى موفورًا، زائدًا عن نصيب المسلم العادي منها.

---

(١) المائدة: (٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥١، ٢٦٢) بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه، ط. دار صادر، بيروت، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان (٥٢/١) (ح ١٩)، بسنده عن أبي أمامة، وصحيحة الحاكم، ووافقه الذهبي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار (٧٠٤/٢)، (ح ١٠١٧)، عن عدي بن حاتم... الحديث.

(٤) رواه أحمد في المسند (٨٢/٣)، مسند أبي سعيد، ط. بيروت، لبنان.

وتقوى الله تعالى إذا رُزقها العبد، فإنها تنير أمامه الطريق، وتفتح له المدارك، ويستبصر بها صاحبها مواطن الحق، ويكون له بها مخرج من الشبهات والمتشابهات، قال تعالى: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}**(١)، كما قال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفضل العظيم}**(٢).

ومن ثَمَّ يؤثِّر الداعية التَّقي بكلامه في الناس تأثيرًا عظيمًا، كما يكون قدوة طيبة لمدعويه، يؤثر فيهم بسلوكه أعظم مما يؤثر بكلامه؛ وذلك كله ببركة تقواه، وخوفه من الله تعالى، وخشيته له، وعمله وفق منهجه.

المطلب الثاني: صدق الداعية:

الصدق من الصفات الأساسية التي تبيِّن معدن الرجال؛ ولذلك فهي صفة واجبة للأنبياء والرسل عليهم السلام، كما أنها صفة لازمة للمؤمنين، ومن ثَمَّ أَمَرَهُم الله تعالى بدوام التحلي بها، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}**(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: **(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ والكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)**(٤).

---

(١) الطلاق: (٢).

(٢)الأنفال: (٢٩).

(٣) التوبة: (١١٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، وما ينهي عن الكذب (٤/ ١٠٠)، (ح ٦٠٩٤) عن عبد الله بن مسعود، ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢ ــ ٢٠١٣) (ح ٦٠٧).

ومِن ثَمَّ "كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم دعامة ركينة في خلق المسلم"(١)، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: **(أَيَكُونُ المُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فقال: نَعَمْ، فقيل: أَيَكُونُ المُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فقال: نَعَمْ، فقيل: أَيَكُونُ المُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فقال: لا)**(٢).

درجات الصدق:

١- صدق اللسان وهو أشهر أنواع الصدق، فالمسلم الحق يحفظ لسانه، فلا يتكلم إلا بالصدق، ولا يلجأ إلى المعاريض إلا عند الحاجة الملحة والضرورة الماسة.

٢- صدق النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص، بأن يقصد المسلم بعمله وجه الله تعالى، وإلا كان كاذبًا أمام نفسه وإن صدق أمام الناس!

٣- صدق العزم، وهو الحزم بقوة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد، وإليه الإشارة في قوله تعالى: **{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}**(٣).

٤- صدق الوفاء بالعهد، وفيه يقول الله تعالى: **{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}**(٤)، كما روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر، لم يشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق ذلك على قلبه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع، قال: فشهد أُحُدًا في العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: إلى أين؟ فقال:

---

(١) انظر: خلق المسلم، للشيخ الغزالي (ص٣٥).

(٢) رواه مالك في الموطأ، حديث رقم (١٥٧١).

(٣) محمد: (٢١).

(٤) الأحزاب: (٢٣).

واهًا لريح الجنة، إني أجد ريحها دون أحد، فقاتل حتى قُتل، فوُجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة، فقالت أخته: ما عرفت أخي إلا ببنانه، فنزلت هذه الآية: **{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ}**[1]، وقوله جل وعلا: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}**[2].

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أهمية الإخلاص، وأن الله تعالى أمر به وجعله أساسًا لقبول العمل، فلا يُقبل عملٌ إلا إذا قُصد به وجهه عز وجل، وأنه سبيل الذين يرجون لقاء الله تعالى، ويطمحون إلى رحمته، وحسن مثوبته.

ومن شروط الإخلاص: أن يُبتغى بالعمل وجه الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فإذا ابتغى بالعمل وجه الله تعالى ووجوه الناس لم يقبل من صاحبه وكان مردودًا عليه، وقد روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: **(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»)**[3].

وقال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت، فقال: (أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلًا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يُحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يُحمَد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يُحْمَد،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٥١٢/٣) (ح ١٠٤٣)، بسنده عن أنس، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب من سورة الأحزاب (٣٤٨/٥ ــ ٣٤٩)، (ح ٣٢٠٠)، وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

(٢) الكهف: (١١٠).

(٣) رواه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (٢٥/٦) (ح٣١٤٠).

ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يُحْمَد، فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه)[١].

وفي الحديث يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، والنُّصْحُ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ)**[٢].

فالواجب على الداعية أن يتحلى بهذا الخلق الإسلامي الكريم، الذي ينعكس إيجابًا على دعوته، فيجعلها مثمرة ناجحة، وأن يعلم أن الرياء – ولو كان قليلًا – محبط للعمل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(اليَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ)**[٣]، كما أن عليه أن يتنبه إلى أن "حرارة الإيمان تنطفئ رويدًا رويدًا، كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت، والرغبة في العلو والافتخار؛ وذلك لأن الله يحب العمل النقي من الشوائب المكدرة، **{أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ}**"[٤].

المطلب الثالث: الصبر عند الداعية:

الصبر من أبرز الأخلاق اللازمة للمؤمنين عامة وللدعاة خاصة؛ فهو فوق كونه من عدة الداعية لتبليغ دعوته، هو أيضًا من فروض الإيمان، بل هو نصفه، وهو أكثر خلق ورد ذكره في القرآن الكريم؛ وذلك لأهميته في حياة المؤمن، فلا إيمان لمن لا صبر له، وإن وُجد فإيمان ضعيف لا يبعث على عمل، ولا يهدي إلى خير، ولا يدفع إلى التزام.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٠٩/٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب من بلغ علمًا (٨٤/١) (ح ٢٣٠).

(٣) رواه الحاكم، كتاب الإيمان (٤٤/١) (ح ٤) بسنده عن معاذ بن جبل، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) خلق المسلم للشيخ الغزالي (ص٧٤)، والنص القرآني من الزمر: (٣).

ومن الآيات الواردة في الصبر قوله تعالى:

- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلَاة إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[1].
- **{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ}**[2].
- **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**[3].
- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}**[4].

وهذا قليل من كثير من ما ورد في كتاب الله تعالى عن الصبر، وبالإضافة إلى هذا نجد القرآن الكريم فيما يتصل بخلق الصبر:

١- تارة ينهي عن ضده، قال تعالى: **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}**[5].

٢- وتارة يخبر أنه مع أهله، قال تعالى: **{إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**[6].

٣- وتارة يبشر أهله، قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}**[7].

٤- وتارة يخبر أنه يحبهم، قال تعالى: **{واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}**[8].

٥- وتارة يبين أن عاقبته خير، قال تعالى: **{وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}**[9].

---

(١) البقرة: (١٥٣).
(٢) هود: (١١٥).
(٣) الكهف: (٢٨).
(٤) آل عمران: (٢٠٠).
(٥) الأحقاف: (٣٥).
(٦) الأنفال: (٤٦).
(٧)البقرة: (١٥٥).
(٨) آل عمران: (١٤٦).
(٩) النحل: (١٢٦).

٦- وتارة يبين أن جزاءه عظيم، قال تعالى: **{إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**(١).

وقد جاءت السنة النبوية بأحاديث كثيرة في الصبر، منها:

• ما روي عن صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)**(٢).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)**(٣).

• وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، والحَمْدُ لله تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلَآن، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، والصَّلَاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)**(٤).

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)**(٥).

---

(١) الزمر: (١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد (٢٢٩٥/٤) (ح ٩٩٩)، بسنده عن صهيب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصبر (٣٧٣/٤ ــ ٣٧٤) (ح ٢٠٢٤)، بسنده عن أبي سعيد الخدري، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٠٣/١) (ح ٢٢٣)، بسنده عن أبي مالك الأشعري.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، بابٌ، (٥٥/ ٤) (ص٦٦٢ ــ ٦٦٣) (ح ٢٥٠٧)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (١٣٣٨/٢).

والداعية في أمسِّ الحاجة إلى الصبر، خصوصًا وأن ناموس الكون اقتضى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يعارضون دعوتهم، ويمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر؛ ولذلك كان لآدم عليه السلام إبليس لعنه الله، ولإبراهيم نمروذ، ولموسى فرعون، ولمحمد صلى الله عليه وسلم أبو جهل وغيره من جبابرة قريش، قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ}**[1]، ومن ثَمَّ كان على الدعاة أن يستعينوا بالصبر على مواجهة هذا البلاء **{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ}**[2].

المطلب الرابع: تواضع الداعية:

من أعظم الأخلاق التي يتصف بها المسلم عامة والداعية خاصة: خلق التواضع، وهو ثمرة المعرفة بالله وبالنفس، فيتواضع من عرف ربه، وعرف قدر نفسه، **والتواضع على نوعين:**

الأول: تواضع العبد عند أمر الله امتثالًا، وعند نهيه اجتنابًا، فإن النفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره، فيبدو منها نوع إباء وشرود؛ هربًا من العبودية، وتثبت عند نهيه؛ طلبًا للظفر بما منعت منه، فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه، فقد تواضع للعبودية.

الثاني: تواضع لعظمة الرب وجلاله، وخضوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى، وتفرُّده بذلك، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه، وانكسر لعظمة الله قلبه، واطمأن لهيبته،

---

(١) الفرقان: (٣١).

(٢) الأنعام: (٣٤).

وأخبت لسلطانه، فهذا غاية التواضع، وهو يستلزم الأول من غير عكس، والمتواضع حقيقة من رُزق الأمرين معًا[١].

والتواضع صفة لازمة لعباد الرحمن الذين عدَّد الله تعالى أوصافهم في قرآنه الكريم، قال تعالى: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}**[٢].

وقد دعت السنة المطهرة إلى التحلي بهذا الخلق الكريم، في جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

- ما روي عن ركب المصري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ والمَسْكَنَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الفِقْهِ والحِكْمَةِ...)**[٣].
- وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إِن اللهَ أَوْحَى إِليَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)**[٤].

---

(١) الروح، لابن القيم (ص٢١٠، ٢١١).

(٢) الفرقان: (٦٣).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٥٦/٢) (ح ٩١٢)، بسنده عن ركب المصري، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الزهد، باب جامع في المواعظ (٣٩٥/١٠) (ح ١٧٧٠١١)، عن ركب المصري، ونسبه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى الطبراني من طريق نصيح العنسي، عن ركب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التواضع (٢٧٥/٤) (ح ٤٨٩٥) عن عياض بن حمار، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢١٩٨/٤ ــ ٢١٩٩)، بسنده عن عياض بن حمار.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)**(١).

ولا ريب أن من الحكمة أن يتصف الداعي إلى الله تعالى بخلق التواضع، فهو أحوج إليه من غيره؛ لأنه يخالط الناس، ويدعوهم إلى منهج الحق، وإلى أخلاق الإسلام، فلا ينبغي أن يدعوهم إلى أخلاق لا يتصف بها، وبالإضافة إلى هذا فإن من طبيعة الناس أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًّا وصدقًا، فهم ينفرون من المتكبر، ويغلقون قلوبهم دون دعوته ووعظه، لأجل هذا أَمَرَ الحق سبحانه رسوله بقوله: **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**(٢).

المطلب الخامس: الرحمة عند الداعية:

من الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الداعية؛ لينجح في دعوته، ويؤثر فيمن حوله خلق الرحمة، وفيها يقول ابن القيم: "إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك، فمن رحمة الأب بولده أن يُكرهه على التأدُّب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظنَّ أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل؛ ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع (٤/٢٠٠١) (ح ٢٥٨٨)، بسنده عن أبي هريرة.

(٢) الشعراء: (٢١٥).

على العبد، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته به"[١].

والرحمة في أفقها الأعلى ومعناها الأسمى صفة الحق سبحانه وتعالى، فإن رحمته عز وجل عمت الأرجاء، وشملت الأرض والسماء، قال تعالى: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**[٢]، وقال سبحانه: **{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ}**[٣].

كما أنها صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وصفه الله سبحانه بها في كتابه، قال تعالى: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}**[٤]، ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته حرصه على دلالتها، إلى ما يبعدها عن أسباب الهلاك والضياع، قال صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهِ)**[٥].

ولقد دعا الإسلام الحنيف إلى التحلي بخلق الرحمة في جملة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

- ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)**[٦].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١٧٢/٢).
(٢) الأعراف: (١٥٦).
(٣) غافر: (٧).
(٤) التوبة: (١٢٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته (١٧٨٩/٤)، (ح ٢٢٨٤)، بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٢٨٧/٤)، (ح ٤٩٤١)، بسنده عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٣٢٣/٤ ــ ٣٢٤)، (ح ١٩٢٤)، بسنده عن عبد الله بن عمرو، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ)**[1].

• وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسُ)**[2].

فعلى الداعية أن يدرك بوضوح أن رسالته للناس جميعًا هي رسالة رحمة، كما أخبر الحق سبحانه وهو يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[3]، كما أن الكتاب العظيم الذي يدعو الناس إليه إنما هو كتاب هداية ورحمة، قال تعالى: **{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**[4]، وقال سبحانه يصف القرآن الكريم: **{وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}**[5].

ومن ثَمَّ فإن من الحكمة أن يتحلى الداعية بخلق الرحمة، هذا الخلق الذي له آثاره الإيجابية وفوائده النافعة في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: فوائد الحكمة للداعية:

١- أنها سبيل الداعية للوصول إلى قلوب المدعوين وعقولهم، والتأثير في واقعهم وسلوكهم، ودفعهم نحو الخير الذي به تصلح نفوسهم في الدنيا، وتسعد في الآخرة.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٢٨٧/٤) (ح ٤٩٤٢)، عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٣٢٣/٤)، (ح ١٩٢٣)، وحسنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} (٤١٤/٤) (ح ٧٣٧٦).

(٣) الأنبياء: (١٠٧).

(٤) الأعراف: (٥٢).

(٥) النمل: (٧٧).

٢- ثم إن الرحمة تهون على الداعية ما يلقاه من أصحاب الغفلة والجهالة، حين ينظر إليهم بعين الرحمة، على أنهم مرضى يحتاجون إلى علاج، وأن غفلتهم وجهالتهم لا تكاد تسمح لهم برؤية الحق الذي في اتباعه والإذعان له صلاحهم وسعادتهم، ومِن ثَمَّ فلا يعجب من مقابلة دعوته لهم بالإعراض والصدود، بل إنه ليتحمل منهم الأذى والإساءة، ويعاملهم بالصفح والعفو، ويدعو لهم بالهداية، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل في دعوته، ويدعو لقومه قائلًا: **(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)**[(١)].

٣- كما أن الرحمة سبب في إقبال الناس على الداعية، والتفافهم حول دعوته، واجتماعهم على توجيهه ونصحه، وتلك طبيعة الناس، ينفرون من الغليظ القاسي، ويلتقون حول الرحيم اللين، قال تعالى ممتنًّا على رسوله صلى الله عليه وسلم: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}**[(٢)].

الآثار المترتبة على التزام الداعية سلوكيًّا بمكارم الأخلاق:

وحين يلتزم الداعية أخلاق الإسلام الحنيف، ويضبط سلوكه وفق تعاليمه السمحة، تكون الثمرة الطيبة، متمثلة في عدة أمور:

الأول: دعوة ناجحة مؤثرة، تخرج من قلب ولسان داعية سَمت روحه، ولطف حسه، ورهف وجدانه، وعاش الإسلام بمبادئه وقيمه قبل أن يدعو الناس إليه؛ لتخترق قلوب الناس وعقولهم، وتؤثر في سلوكهم وواقعهم، وقد قيل: ما خرج من القلب دخل إلى القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب رقم (٥٤) (٢/ ٣٨٨)، (ح ٣٤٧٧)، بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد (١٤١٧/٣)، (ح ١٧٩٢) عن عبد الله بن مسعود.

(٢) آل عمران: (١٥٩).

الثاني: قدوة حسنة نافعة، يتأثر بها الناس، حين يرون إسلامًا يتحرك على الأرض، يلمسونه في شخص هذا الداعية، ويرونه متمثلًا في أخلاقه وسلوكه، وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي تقول عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، حين سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم: **(كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ)**[1]، والداعية يتجه نحو الكمال البشري بقدر قربه وتأسّيه بالداعية الأول، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثالث: النجاة من مقت الله وسخطه وعذابه، الذي ينزله بمن يحسن القول ويسيء العمل، ممن يقول بلسانه ما يخالف سلوكه، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**[2].

وقال سبحانه: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**[3].

وعن أسامة بن زيد، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاه، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ، قال: وإني سَمِعْتُهُ يَقُولُ** – يعني: النبي صلى الله عليه وسلم –: **مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: ما هَؤُلَاءِ؟ قال: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ)**[4].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٨/٤١٠) حديث رقم (٢٤٦٠١) عن عائشة.
(٢) الصف: (٢، ٣).
(٣) البقرة: (٤٤).
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٤/١٩)، حديث رقم (١٢٢١١)، عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه أبو يعلي في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (٦٩/٧)، حديث رقم (٣٩٩٢).

الفصل السادس: دور الإرشاد الديني في الملتقيات الفكرية:

(١) تشجيع الطاقات الفكرية والعلمية والاجتماعية؛ للإسهام في معالجة قضايا المجتمع، ومناقشة وتحليل الآراء، وتفنيدها من خلال فتح مجالات الحوار، والمشاركة المتواصلة بين فئات المجتمع، بقصد الوصول إلى آراء موضوعية.

(٢) إنتاج حلول وتوصيات تجاه الأحداث والمشاكل التي تواجه المجتمع.

(٣) بناء أفكار واتجاهات صحيحة في التنمية البشرية والاجتماعية.

(٤) ترسيخ الانتماء إلى الوطن، والسعي الحثيث إلى حل قضاياه؛ من خلال التفاعل الإيجابي مع كافة عناصر المجتمع.

متطلبات تحقيق الإرشاد الديني للملتقيات الفكرية:

أولًا: توفير البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية والأمنية الداعمة لنشوء هذه الملتقيات، ونموها وتطورها بمرور الوقت؛ كي تكون بارزة، وذات أثر واضح في فكر وثقافة المجتمع.

ثانيًا: تنظيم الملتقيات إداريًّا وعلميًّا، واعتماد أساليب راقية في إدارة الحوارات والنقاشات، واحتواء كل الآراء، بغض النظر عن مدى مقبوليتها أو عدمها.

ثالثًا: ومن المعلوم أن كثرة الآراء وتعددها قد تؤدي إلى فكرة خلاقة تستحق الاهتمام، والاختلاف سنة الله في خلقه.

رابعًا: ألا تكون هذه الملتقيات نوعًا من الترف الفكري عديم الفائدة للمجتمع.

خامسًا: اختيار الموضوعات المطروحة للنقاش بعناية فائقة، تتطلب أن ينتقيها نخبة من العلماء والمفكرين والدعاة إلى الله تعالى بعناية فائقة؛ لمعالجة

أهم القضايا التي يعاني منها المجتمع، وكيفية حلها والتغلب على كل الصعوبات التي تواجه المجتمع، وخاصة الشباب، ومعالجتها فكرية صحيحة.

سادسًا: اختيار نخبة من الدعاة، ذات مؤهلات عالية وخبرة كبيرة لحضور هذه الملتقيات، وكتابة تقرير عن كل جديد وصالح للمجتمع (الناحية الإيجابية – الناحية السلبية).

سابعًا: الإعلان عن هذه الملتقيات في المساجد، وتشويق المجتمع لحضور مثل هذه الملتقيات.

ثامنًا: دعوة نخبة من العلماء والمفكرين، التى علـى علـم تـام بقـضايا المجتمع، وكيفية حلها بيسر وسهولة، وتبسطها لكل عناصر المجتمع.

تاسعًا: الابتعاد عن الجدل الفكري والثقافي، الذي يؤثر سلبًا على أهـداف هذه الملتقيات، ويجعلها عديمة الفائدة والجدوى؛ لأن الجـدل يعرقـل مـسيرة التطور الثقافي والفكري.

عاشرًا: ألا تكون كل الملتقيات الفكرية على مستوى الدولة تبحـث عـن موضوع واحد، ولكن لكل بيئة ملتقى خاصًّا بها، فليس ما ينفع البيئـة العلميـة والبيئة الاستقراطية يتناسب مع بيئة التجار والصناع والعمال والفلاحين.

فلا بد من وجود تنوع في الملتقيات، كأن يكون هناك ملتقى معني بالجانب الثقافي فقط، وآخر معني بالجانب الـسياسي، وثالـث بالاقتـصادي، ورابـع بالقانوني، وأهمية اتباع الدستور العام للدولة.

حادي عشر: يحذر انفتاح الملتقى على مناقشة كل الموضوعات، وبحضور أشخاص غير متخصصين في موضوع النقاش، وإيجاد الحلول الصحيحة سيقلل من فرص التميز والإبداع.

ثاني عشر: الاستقلالية والحيادية في عمل مثل هذه الملتقيات؛ لأن عامـة الناس ستتابع هذا الإنتاج الفكري، ومن الممكن أن تطبقه على أرض الواقع.

سؤال: يجب أن نفكر فيه ونجد له الجواب الصحيح: هل الجلسات الحوارية لها دور في تفصيل وتنشيط أفكار التقدم والتغيير والإصلاح؟

الجواب: نعم، إن الحوار له دور فعال في تفعيل وتنشيط أفكار التقدم والتغيير والإصلاح، وهذا يندرج تحت أمر الشورى، كما قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}(١).

فمن أهم خصائص الحوار: أنه يصحح العقائد الفاسدة على أسس صحيحة، ويغرس العقائد والقيم والأخلاق الصحيحة؛ لأن الحوار يظهر ما بداخل الآخرين من أفكار صحيحة وغير صحيحة.

المبحث الأول: أهم التحديات التي تعترض الملتقيات الفكرية، وكيفية مواجهتها:

قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع، نود أن نؤكد أن كل التحديات التي تحيط بعالمنا الإسلامي ليست تواجه الإسلام بوصفه الدين الخاتم، الذي تستطيع شريعته الغراء أن تواجه كل الظروف والمتغيرات من المرونة والاعتدال، فالتحديات القائمة واللاحقة للمسلمين ليست للإسلام ذاته، إنها تحديات تواجه عقول المسلمين وقدرتهم على استيعاب تطورات العصر، والوعي بالزمن، والوعي بالتطور التاريخي.

إن التحديات التي تواجه المسلمين في عالم اليوم تحديات معقدة، وفي حاجة إلى إرادة قوية، وعزيمة صادقة لتجاوزها، والسير صعودًا نحو مستقبل مشرق، فمن هذه التحديات انتشار الخوف غير المبرر من الإسلام في الغرب، بوصفه العدو البديل، أو الخطر القادم الذي يهدد الحضارة العالمية، والترويج لنظرية صدام الحضارات، ونهاية التاريخ، والتطورات العلمية الجديدة، فإذا كانت هذه تحديات خارجية فهناك تحديات داخلية عديدة، من أهمها: انتشار ظاهرة

---

(١) آل عمران: (١٥٩).

الإرهاب في العالم الإسلامي على نطاق واسع، رغم أنها ظاهرة عالمية، والفهم الخاطئ للإسلام، والتفسيرات المغلوطة لتعاليمه.

المبحث الثاني: أهم التحديات الداخلية:

(١) **التخلف:** فهو ليس تخلفًا على المستوى المادي فحسب، وإنما هو تخلف شامل لشتى النواحي العلمية والفكرية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ فالمسلمون اليوم – للأسف الشديد – ليسوا أكثرَ من مستهلكين لمنجزات الحضارة المعاصرة، وليسوا منتجين لها أو مشاركين فيها.

ويحاول خصوم الإسلام نسبة التخلف في العالم الإسلامي إلى الإسلام، ويزعمون أنه هو الذي يشد أتباعه إلى الوراء دائمًا، وفي حقيقة الأمر التخلف الذي تعانى منه الأمة الإسلامية اليوم ليس سببه الإسلام، وإنما هو بالأحرى عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين؛ لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين.

وإذا كانت الحضارة لا تقوم إلا بالعلم، فإن الإسلام قد جعل العلم فريضة لا تقل شأنًا عن فرائض الصلاة والصوم والزكاة، وجعل مداد العلماء مساويًا لدماء الشهداء، ووصف العلماء بأنهم أخشى الناس لله رب العالمين؛ لأنهم الذين يدركون أسرار الخلق وجلال الخالق[١].

(٢) ظاهرة الإرهاب: تعد من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي؛ إذ اتجه الإرهاب إلى القتل والتدمير للأبرياء، دون تمييز بين طفل، وامرأة، وشيخ، وشاب، بل وتعدى ذلك إلى التمثيل بالقتلى دون سبب مفهوم، وفي كثير من الأحيان تحت شعار إسلامي، وبصيحات: الله أكبر، الله أكبر.

عواقب الإرهاب: مدمرة لقدرات الشعوب الإسلامية اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، ولا شك أن الإرهاب في العالم الإسلامي يتلقى الدعم والتخطيط من

(١) مجلة رسالة التغريب، العدد ٥٠، (ص٢٠).

رؤوس الإرهاب في الخارج، وبخاصة في الدول الأوروبية، إن مواجهة الإرهاب في العالم الإسلامي قد اتسمت بقصور شديد؛ إذ نظر الكثيرون إليها على أنها صراع بين الإرهاب والحكومات، ومن هنا لم يظهر الدور الشعبي في الصورة والمواجهة، وترك الأمر في غالب الأحيان للحكومات بأجهزتها الأمنية، وهذا يعد خطأ فادحًا وكسلًا، إن التغلب على التحدي الذي يتمثله الإرهاب يجب أن يكون مسؤولية الجميع في المجتمع بأسره؛ وذلك لوضع خطة قومية شاملة لمواجهة الإرهاب، تحدد فيها واجبات ومهام كل جهة حكومية كانت أم أهلية.

(٣) الفهم الخاطئ للإسلام: يرجع إما إلى جهل أصحابه بجوهر تعاليم الدين، أو خداع الجماهير برفع شعارات دينية؛ لتحقيق أغراض دنيوية شخصية، لا تمت إلى الدين بصلة.

الفصل السابع: المدارس العلمية وتدريس التراث:

تعريف التراث: هو الهوية الثقافية للأمم، والتي من دونها تضمحل وتنفك داخليًّا، وبالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك، ويندفعون بقوة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة، إن معظم التراث الإسلامي يتمثل في المكتبة العربية التي ترجع بدايتها إلى فجر التاريخ الإسلامي، عندما قامت حركة التدوين في القرن الأول، ثم انتهت إلى التصنيف في القرن الثاني، وازدهرت كثيرًا في القرن الثالث ثم الرابع، وعمليةُ نقل التراث إلى الأجيال المعاصرة ليست بالأمر السهل؛ فإن احتمال التحريف المتعمد للقيم التراثية يعتبر من أكبر الأخطار التي اقترنت بما تم في هذا المجال، بسبب الغزو الثقافي الذي تعرضت له الحضارة الإسلامية[١].

(١) أهمية التراث وضرورة تيسيره على موقع واي باك تيم، ٥ مارس، ٢٠١٦.

دور التراث الفقهي:

العالم الإسلامي بحاجة إلى تحديد دقيق لمنهج الاستنباط الفقهي المعاصر، وهذا يتطلب منا الحذر من الاجتهاد في دين الله تعالى بغير علم، ودون ضوابط أصولية، إن الفهم القاصر والتشويش الظاهر أثر من آثار التلقي المباشر من الكتاب والسنة، دون ترشيد من العلماء المتخصصين، وهنا يقدِّم التراث الديني صورًا دقيقة لوسائل إعداد العلماء والمناهج والعلوم الإسلامية، ولأهداف التعليم وأساليبه، بشكل نظريات شمولية في المؤلفات المتخصصة، أو مؤسسات تطبيقية تمثلت في المدارس والجامعات الإسلامية، وقبل ذلك في حلقات العلماء في المساجد، ثم بشكل نماذج من العلماء في عصور مختلفة قاموا بمسؤوليتهم في طرح الحلول الشرعية (الأحكام الفقهية المستنبطة من الأدلة الشرعية) لمشاكل مجتمعاتهم في عصور التاريخ الإسلامي المتعاقبة[1].

المبحث الأول: من أهم طرق الحفاظ على التراث:

(١) تعريف النشء الجديد في المدارس، ومنذ الصغر، بأهمية التراث الإسلامي، وذلك بالطرق المتناسبة التي تتناسب مع كافة المراحل العمرية.

(٢) السعي الحثيث لتحقيق كتب التراث الإسلامي.

(٣) تيسير فهم كتب التراث، بعد تحقيقها بلغة تتناسب مع العصر الحديث.

(٤) مسؤولية الحفاظ على التراث تقع على عاتق مؤسسة الأزهر الشريف (الرسائل العلمية، الماجستير والدكتوراه) وجهود وزارة الأوقاف في اختيار نخبة من العلماء الأكفاء، أصحاب الخبرات العالية، في فهم التراث الإسلامي، وتدريسه في المدارس العلمية التي أقامتها وزارة الأوقاف

(١) المشكلة التشريعية (دور التراث في مواجهة المشكلة الاجتماعية، ٥ مارس، ٢٠١٦، على موقع واي باك تيم).

مشكورةً، بجهود صاحب المعالي وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة.

الفصل الثامن: دور القوافل الدعوية في مواجهة الأفكار المتطرفة:

يعيش بعض المسلمين في القرى والأرياف والنجوع، ومعظمهم إما أهل زراعة، أو تجارة، أو صناعة، ولهم عادات وتقاليد، بعضها حسن، والآخر غير حسن، وبعضها يتوافق مع الشريعة الإسلامية، وبعضها لا يتوافق، فهم في حقيقة الأمر أرض خصبة لزرع العقيدة الصحيحة والأخلاق النبيلة؛ فلذلك ينبغي أن يقوم الدعاة والوعاظ بجولات دعوية إلى القرى والنجوع والمحافظات النائية، يتعرفون من خلالها على أحوال إخوانهم، والوقوف على المشاكل التي تواجههم بسبب العادات الفاسدة المبتدعة، التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية، وغرس العقيدة الصحيحة والأخلاق النبيلة، وهناك بعض المقترحات التي تساهم في نجاح القوافل الدعوية.

المبحث الأول: أهم المقترحات لنجاح القوافل الدعوية:

(١) إعداد دروس ومحاضرات مناسبة لأهل المدن والقرى النائية.

(٢) اختيار نخبة من الدعاة، الذين لهم خبرة دعوية واجتماعية وعلمية بكيفية حل المشاكل، دون أضرار مادية أو معنوية.

(٣) تهتم القافلة بتزكية النفس، والحث على طاعة الله تعالى، وتعظيم حرمات الله تعالى، والبعد عن المعاصي والمنكرات، وأهمية حب الوطن، والحفاظ على مقدسات الوطن، وأهمية الأمن.

(٤) تقديم تقرير عن القافلة من النواحي الإيجابية، والنواحي السلبية، وأهم النتائج والتوصيات إلى إدارة الإرشاد الديني بوزارة الأوقاف أو الأزهر الشريف، وذلك عن طريق الدعاة الذين كانوا في القافلة.

(٥) الاتصال بالدعاة في المحافظات المزارة قبل خروج القافلة؛ وذلك للأمور الآتية:

أ) تنظيم المحاضرات، والدروس، واللقاءات قبل قدوم القافلة.

ب) تعريف أهل القرى بالدعاة القادمين إليهم؛ حتى يأمنوا على أنفسهم من الفكر الهدام، ومن ناحية أخرى ليعرفوا قدر هؤلاء الدعاة، وأنهم جاءوا من مؤسسة حكومية (الأوقاف – الأزهر الشريف)؛ وهذا يكون أدعى لصدق ما جاءوا به.

(٦) نشر أخبار القوافل الدعوية في الإذاعات والصحف، وإبراز أهم نتائجها الإيجابية، وحث الناس على الاستفادة منها، وتشجيع طلبة العلم والدعاة على المشاركة في هذه القوافل من أجل التعليم.

(٧) تهتم البعثة بدعوة العلماء الذين لهم فكر متشدد غير صحيح؛ لمواجهتهم، وتصحيح هذه الأفكار على الطريقة الصحيحة.

(٨) التعرف على أعيان القرى المزارة، من العلماء والوجهاء، لكسب ثقتهم، وإقناعهم بقبول الدعوة، ومساندتها، وتعمل على إنشاء علاقات طيبة معهم، وتبادل العناوين والهواتف، ويطلبون منهم زيارة مكتب الإرشاد إذا قدموا العاصمة؛ لاستضافتهم، والاحتفاء بهم؛ مما سيكون له أبلغ الأثر في موقفهم من الدعوة والدعاة.

(٩) الاهتمام بشباب القرى، وإزالة سوء التفاهم بين الشباب وأهلهم، وتوجيه الشباب إلى حسن التعامل مع المدعوين، وتقدير علمائهم، واحترام كبيرهم.

(١٠) التدريس من كتابٍ (خاصة من كتب التراث) عند إلقاء الدروس والمحاضرات؛ نظرًا إلى للكتاب من هيبة في نفوس العامة.

الفصل التاسع : دور الإرشاد الديني في إنشاء المسابقات لاختيار الدعاة إلى الله تعالى:

بداية قبل الدخول في موضوع إنشاء مسابقة لاختيار أفضل الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية، نريد أن نسأل سؤالًا: **كيف يتم إنشاء المسابقات؟**

الجواب: إن كل عمل يكون فيه تخطيط وأهداف فهو أقرب للمراد، فإننا نريد من المسابقة اختيار أفضل العناصر الدعوية، التي تستطيع أن تواجه الأفكار المتطرفة الهدامة بفكر صحيح، يبني ولا يهدم، يصلح ولا يفسد؛ لأن مواجهة الفكر المتطرف لا بد وأن يواجهها فكر صحيح؛ ليقضي على الهدم، ويبني ويغرس القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية النبيلة.

أولًا: اعتبارات عامة للداعي وغير الداعي:

١ – البعد عن غرائب المسائل والأقوال المختلفة؛ ففي الغالب تكون محل خلاف عريض، وفيها تضييع للوقت على حساب الأهم.

٢ – يفضَّل تحديد كتاب، يكون محلًّا للتنافس والمسابقة، وهذا الذي يغفل عنه الكثير.

٣ – عدم كثرة الخوض في الفروع، وترك الأصول؛ فهذا يضعف المسابقة، ويملل المتسابق.

٤ – يجب أن تعتمد المسابقة على التفكير، وإعمال الذهن وتحريكه.

٥ – تجنب المسائل الاختيارية في أسئلة الامتحانات (ضربة حظ).

٦ – عدم جعل السؤال عبارة تعجيز وتحدٍّ للمتسابق، بل يكون في صفِّه، وكأنك تريد الفوز والنجاح له.

٧ – لا داعي أن تُظهر فشل أو رسوب المتسابق، بالإعلان عنه، وخاصة إذا كان في دورة تدريبية، وإن استلزم الأمر إعلان النتيجة، فهناك أمران:

الأول: أن تظهر أنهم لم يأتوا بالدرجة المطلوبة.

الأمر الثاني: أن تجعل لهم دورة بها ساعات إضافية مكثفة في المادة التي رسبوا فيها؛ حتى تجنبهم الملل، وفقدان الأمل، والإحباط، ونظرة باقي الزملاء لهم بأنهم غير أكفاء، ويفضل أن ينجح الجميع دون تفرقة؛ حتى لا يصاب المتدرب بالإحباط الشديد وسط الزملاء.

ثانيًا: اختبارات خاصة للداعي المتخصص لنشر الدعوة الإسلامية:

تعتبر رسالة الدعوة إلى الله تعالى من أَجَلِّ الرسالات، وأعظم المهام على الإطلاق؛ لأن هذه المهمة السامية هدفها دعوة البشرية إلى ما فيه صلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة، والدعوةُ إلى الله تعالى عمل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(١).

الخطيب كالطبيب في علاج الأمراض؛ فالطبيب لا بد له من عُدَّة، وهذه العُدَّة ممثَّلة في العلم، والخبرة، والتدريب المستمر، والبحث الدؤوب عن كل جديد في علاج الأمراض، وكذلك الخطيب لا بد وأن يتسلح بالعلم، والصبر، والخلق النبيل، والتفتيش عن كل جديد في علاج أمراض المجتمع، وصولًا إلى دواء نافعٍ قاضٍ على هذه العلة.

والخطيب في حقيقة الأمر هو الذي نسلِّم له عقولنا، دون تفكير في أمره، نترك له عقول أولادنا وأزواجنا، ونأمنه على ما في أنفسنا من الخفايا؛ إذ يأخذ مقام الأنبياء والمرسلين في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى.

والدعوة إلى الله ليست عقيدة وعبادة فقط؛ إذ لا بد لها من أسس قوية؛ ليكمل البناء، وأصل هذه الأسس "**مكارم الأخلاق**"، قال صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاق)**(٢)، وكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسعوا إليها

---

(١) يوسف: (١٠٨).

(٢) أخرجه البيهقي، باب مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقًا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار، (١٩١/١٠) (ح ٢٠٥٧١).

على بصيرة؛ فمن هنا كان لزامًا علينا أن ننتقي الداعي الذي يغرس في عقولنا وقلوبنا الفكر الصحيح بعناية فائقة، كمثل الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وعلى النقيض إن كان ما غرس ذا أصل خبيث لم تطرح إلا الزقوم؛ لذا كان من اللائق ألا نسلم عقولنا بكل سهولة ويسر لأي إنسان، إلا إذا كانت فيه صفات أهل العلم.

ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي – من بين كثير– ما سأعرضه في نقاط تالية:

الصحة النفسية، يليها الانتماء للوطن؛ ومِن ثَمَّ صحة الفكر الذي يعتنقه، والناحية العلمية التي يمتاز بها، والموعظة الحسنة واللين والرفق في الكلام، والجدال المثمر، ولا تغني هذه الصفات عن ضرورة تحليه بالإخلاص والبصيرة التي هي على ثلاثة أقسام:

أولًا: أن يكون على علم بما يدعو إليه.

ثانيًا: أن يكون على علم بأصول المدعو وظروفه.

ثالثًا: أن يكون على علم بكيفية الدعوة، إضافة إلى الحكمة، قال تعالى: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}(١).

وسنتناول بشيء من التفصيل أهم الصفات الآتية:

أولًا: الانتماء الوطني.

ثانيًا: صحة الفكر الذي يعتنقه الداعي إلى الله تعالى.

أولًا: الانتماء الوطني:

إن الداعي إلى الله تعالى الذي ليس له انتماء وطني وحب فطري لوطنه، يعدُّ مريضًا، ولا يؤمن على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، فكيف يُطلب منه تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، وهو لا يحب الوطن الذي يدعو أهله إلى الله ورسوله

(١) البقرة: (٢٦٩).

صلى الله عليه وسلم، وكيف نأتمنه على الناس وهو كاره لهم، وينظر إليهم نظرة دونية!

وهناك سمات للشخصية الوطنية في ضوء الشرع الحنيف، نتناولها في العناصر الآتية:

أ) حب الوطن غريزة فطرية في الشخصية الوطنية.

ب) أهم صفات وسلوك الشخصية الوطنية.

ج) التضحية من أجل الوطن.

أولًا: حب الوطن غريزة فطرية في الشخصية الوطنية الصحيحة:

في حقيقة الأمر ما من إنسان صحيح الفطرة، معتدل المزاج، إلا ويعتز بوطنه؛ لأنه مهد صباه، ومنبع ذكرياته، وموطن آبائه وأجداده، ومأوى أبنائه وأحفاده، حتى الحيوانات لا ترضى بغير وطنها بديلًا، فالطيور تعيش في وطنها (عشها) في سعادة، ولا ترضى بغير وطنها بديلًا، ولو كان هذا الوطن (العش) من حرير، والسمكُ يقطع آلاف الأميال متنقلًا عبر المحيطات، ثم يعود إلى وطنه، حتى النملة تخرج من بيتها ووطنها، وتقطع الفيافي، وتصعد الصخور، وتمشي على الرمال؛ بحثًا عن الرزق، ثم تعود إلى بيتها.

بل إن بعض المخلوقات إذا تم نقلها عن موطنها الأصلي فإنها تموت، وهذا ما أعلنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو تارك مكة تركًا مؤقتًا، فعن عبد الله بن عدي رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بالحزورة من مكة، يقول صلى الله عليه وسلم: **(وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)**[1].

(١) أخرجه الترمذي، باب في فضل مكة (٦/٢٠٧)، (ح ٣٩٢٥).

وعندما أخبر ورقة بن نوفل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، أن قومه من قريش مخرجوه من مكة، فقال صلى الله عليه وسلم: **(أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟)**[١].

قال الحافظ الذهبي معددًا طائفة من محبوبات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: كان صلى الله عليه وسلم يحب السيدة عائشة رضي الله عنها، ويحب أباها، ويحب أسامة بن زيد، ويحب سبطيه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه[٢].

إن تراب الوطن الذي نعيش فيه له فضل علينا في حياتنا، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في الرقية: **(بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، وَرِيقَةُ بَعْضِنا، يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا)**[٣].

ولما وصل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، دعا الله تعالى بقوله: **(اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدّ)**[٤].

إن الحب الفطري للوطن دليل على وجود صحة نفسية صحيحة لدى الداعي إلى الله تعالى–، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧/١) (ح ٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦٩/١).

(٣) أخرجه البخاري، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٣/٧)، (ح ٥٧٤٦).

(٤) أخرجه البخاري، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة (٦٦/٥)، (ح ٣٩٢٦)

(٥) النساء: (٦٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: **(اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا)**[1].

المبحث الأول: صفات وسلوك الشخصية الوطنية للداعي السليم الفطرة:

هذه الصفات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) صفات اجتماعية.

٢) صفات أخلاقية.

٣) صفات وطنية: (الإيجابية – إتقان العمل – حب الوطن).

أ) **صفات اجتماعية:** مثل قضاء حوائج الناس وفعل الخيرات، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، **(أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى قَلْبِ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا...)**[2].

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط، وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخ من حَدِيث ابْن عمر وَلَفظه (أحب الْأَعْمَال إِلَى الله عز وَجل: سرُور تدخله على مُسلم، أَو تكشف عَنهُ كربَة، أَو تطرد عَنهُ جزعا، أَو تقضي عَنهُ دينا.

---

(١) أخرجه البخاري، باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة (٢٣/٣) (ح ١٨٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني. الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٢٦٥)

ب) صفات أخلاقية: مثل الصدق، والأمانة، والصبر، والإخلاص، والتقوى... إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: **تَقْوى اللهِ تَعَالَى، وَحُسْنُ الخُلُقِ**، وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال صلى الله عليه وسلم: **الفَمُ والفَرْجُ**)[١].

ج) صفات وطنية: يحرص الداعي إلى الله تعالى أن يكون عضوًا فعالًا إيجابيًّا منتجًا، نافعًا لنفسه وأهله ومجتمعه، ولا نبالغ إذا قلنا بأن الإيجابية هي الحياة أو هي الدين كله، فالدين لم تقم على أرضه السلبية والخمول والتقاعس والكسل، وإن شئت فقل: الذاتية، منذ أن خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**)[٢].

إتقان العمل: قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**)[٣].

د) التضحية من أجل الوطن:

قال تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**} [٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حسن الخلق، ج٣ /٤٣١، ح ٢٠٠٤

(٢) المدثر: (١: ٥).

(٣) أخرجه مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٣٤٩)

(٤) التوبة: (١١١).

المبحث الثاني: صحة الفكر الذي يعتنقه الداعي إلى الله تعالى:

إن الأمة الإسلامية الآن في أمس الحاجة إلى داعية يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، صغيرًا أو كبيرًا، يريد لهم الخير والنصح، لا يكف عن دعوته، ولا يسأم من الرد والإعراض؛ لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة بسبب جهلهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الخَيْرَ كُلَّهُ)**[1].

فالداعي إلى الله تعالى لا بد وأن يكون مخلصًا، مراقبًا لله تعالى، محاسبًا نفسه، متوكلًا على الله تعالى في كل الأمور، لا ينحاز إلى فكر غير سليم، معتدل، فكره يتوافق مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا ينحاز إلى تيار بعينه، ولا جماعة لها فكر متشدد يشذ عن الفكر الإسلام المعتدل المستنير، ولا يسلِّم عقله ونفسه لقائد جماعة بعينها يغير منه كيفما شاء، ويغرس في فكره وعقله الأفكار الهدامة الفاسدة التي تفتك به وبوطنه (تأكل الأخضر واليابس)، ويكون لطاعة القائد الذي يتولى أمره كالمغسِّل الذي يقلِّب الميت في يده كيف يشاء، ويحبه حبًّا جمًّا، كالذي يترك خالقه، ويحب عبدًا له، وفيه يصدق قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}**[2].

فالإسلام دين العقل والفكر، قال تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**[3]، وقال تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}**[4].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٠٩)

(٢) البقرة: (١٦٥).

(٣) الرعد: (٣).

(٤) الرعد: (٤).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قائد يعتمد كل أسلوب ناجح، يساعد في بناء الأمة، ويشجع كل تفكير إيجابي وينتصر لـه، وقـام أصـحابه رضوان الله عليهم من بعده، فجمعوا القرآن الكريم، وحفظـوا حـدود الدولـة الإسلامية، وأمَّنوا ثغورها، ونظَّموا أساليب حكمها، ودوَّنوا الدواوين، وقـسموا العطايا، وأقاموا العدل والقسط، فالداعي لا بد وأن يكون لديه نظـرة علميـة، ومنهج موضوعي في التعامل مع المواقف والتصرفات، بمعنـى: أنـه يـزن الحقائق، ويقيم المواقف في ظل نظرة عادلة للسلبيات والإيجابيات، ولا يكتفـي بتوصيف الوقائع، دون تحليلها، بل عليه أن يحلل التصرفات ويعرف دوافعها، وأن يحسن تقييمها، وتقدير الرأي المخالف، واحترام المتخصص، وعدم التعجل في الأحكام والقرارات، إلا بعد دراسة متأنية وبحث مستفيض.

المبحث الثالث: من صفات الداعية: أن يكون سليم الفطرة [الوسطية]:

الوسطية سمة أصيلة في الداعي الإسلامي الرشيد، مستمدة من النصوص القرآنية، والسنة النبوية، قال تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**}(١)، فيجب أن يتغلب على فكر الداعي إلى الله تعالى نبذ كل فكر منحرف، وتفكير مضطرب، وكل ذهنية شاردة، أو متصلبة، أو متطرفة، ورفـض كـل منهج هدفه الرئيسي (الغاية تبرر الوسيلة)، وكل هذه الأفكار غير الصحيحة لا تأتي إلا عن طريق التعصب للرأي، والأنانية، والأثرة، وحب الذات، والتـشدد في غير موضعه، قال تعالى: {**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**}(٢).

يقول الإمام الذهبي رحمه الله تعالى تعليقاً على بعض الذين شددوا علـى أنفسهم في دين الله تعالى: "دين الإسلام يسر وحنفية سمحة، فليأكل المسلم مـن الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: (**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**)(٣)".

---

(١) البقرة: (١٤٣).
(٢) البقرة: (١٨٦).
(٣) الطلاق: (٧).

وقد كانت النساء من أحب الأشياء إلى نبينا صلى الله عليه وسلم، والطيب، وكذلك اللحم، والحلوان، والعسل، والشراب الحلو البارد، والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى؛ ثم العابد العريُّ من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه... ولج الشيطان في بطنه وخرج، فيعتقد أنه وصل وخوطب وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي وصاحب كرامات وتمكُّن، وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه.... وليس ذلك من شريعتنا في شيء، إن السلوك السليم في حياة الداعي إلى الله تعالى: "هو ملازمة ذكر الله تعالى، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الأرحام والسماحة، وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر؛ يرقق الفؤاد، والأمر بالمعروف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه صفات الأولياء وصفات المحمديِّين، أماتنا الله على حجتهم"[1].

* *

(١) سير أعلام النبلاء ٨٩/١٢.

الخاتمة

أولًا: أهم النتائج:

أولًا: من طرق الدعوة إلى الله تعالى: الإرشاد بالترغيب والترهيب.

ثانيًا: من أهم طرق الإرشاد: التدرج في الهداية.

ثالثًا: من أساليب الترغيب والترهيب: التذكير بنعم الله تعالى.

رابعًا: من أهم صفات الداعية: الصدق، والصبر، والتواضع، والرحمة.

خامسًا: من أهم ملامح الدعوة إلى الله تعالى: ترتيب الأولويات، مراعاة التدرج، مراعاة طبيعة المدعو، مراعاة المناسبة.

سادسًا: من أهم مميزات الداعي علميًّا: العلم بالإسلام، وحال المدعو، ومناهج أساليب الدعوة.

سابعًا: من ملامح الحكمة في أساليب الدعوة إلى الله تعالى: اللين والرفق، وتأليف القلوب، والستر وعدم التعنيف، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ثامنًا: من صفات اختيار الداعية للعمل (بوظيفة إمام وخطيب ومدرس) أو (واعظ بالأزهر الشريف):

أ- صحة الفكر الذي يعتنقه.

ب- الانتماء الوطني (الحب الفطري للوطن).

ج- الوسطية: التي تنبذ الانحراف والتطرف، والتعصب للرأي والأنانية.

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م
٢	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري	عيسى الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
٣	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني	دار الريان
٤	سنن الترمذي	محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي	مصطفى البابي الحلبي مصر بتحقيق أحمد محمد شاكر وغيره ط الثانية ١٣٩٥هـ
٥	المجتبى من السنن – السنن الصغرى	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي	حلب ط الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
٦	سنن الدرامي	عبد الله بن محمد الدارمي	دار الريان
٧	سنن ابن ماجه	أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني	مصطفى الحلبي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
٨	موطأ الإمام مالك	مالك بن أنس	دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد فؤاد

٩	مسند الإمام أحمد	أحمد بن حنبل	مؤسسة الرسالة
١٠	صحيح ابن حبان	محمد بن حبان أبو حاتم البستي	بتحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة
١١	سنن الدارقطني	أبو الحسن على بن عمر الدار قطني	مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م
١٢	الطيوريات	صدر الدين أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد	أضواء السلف الرياض
١٣	مسند أبي يعلى	أحمد بن علي بن المثنى	دار المأمون دمشق
١٤	السنن الكبرى البيهقي	أحمد بن الحسين البيهقي	دار الكتب العلمية بيروت
١٥	الإبانة الكبرى لابن بطة	أبو عبد الله عبيد الله بن محمد المعروف بابن بطة	دار الراية للنشر الرياض
١٦	المصنف في الأحاديث والآثار	أبو بكر بن أبي شيبة	مكتبة الرشد الرياض
١٧	مسند أبي داود الطيالسي	أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي	دار هجر مصر ١٤١٩هـ ١٩٩٩م
١٨	المصنف لعبد الرزاق	عبد الرزاق بن همام الصنعاني	المكتب الإسلامي
١٩	مسند الإمام الشافعي	أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي	دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٧٠هـ

٢٠	مسند الحميدي	عبد الله بن الزبيري الحميدي	دار السقا دمشق – سوريا ١٩٩٦م
٢١	السنة لأبي بكر الخلال	أحمد بن محمد بن هارون الخلال	دار الراية الرياض
٢٢	مسند البزار المشهور باسم البحر الزخار	أبو بكر أحمد بن عمرو البزار	مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة
٢٣	الأدب المفرد	محمد بن إسماعيل البخاري	دار البشائر بيروت
٢٤	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد	أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي	الطبعة الأولى ١٤٠١هـ
٢٥	كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل	أبو بكر بن خزيمة	مكتبة الرشد الرياض
٢٦	الجهاد لابن ابي عاصم	أبو بكر بن أبي عاصم	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤٠٩هـ
٢٧	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي	مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤٢٠هـ
٢٨	التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	الدار التونسية
٢٩	تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير	دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ ١٤٢٠هـ

٣٠	جامع البيان في تأويل القرآن	محمد بن جرير الطبري	مؤسسة الرسالة
٣١	الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي	أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي	دار الكتب المصرية ط٢ ١٣٨٤هـ
٣٢	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل	أبو القاسم الزمخشري	دار الكتاب العربي ط٢ ١٤٠٧هـ
٣٣	لباب التأويل في معاني التنزيل	علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن	دار الكتب العلمية بيروت
٣٤	فتح القدير للشوكاني	محمد بن علي الشوكاني	دار ابن كثير بيروت
٣٥	الخلاصة في تدبر القرآن الكريم	د/ خالد بن عبد الرحمن السبت	دار الحضارة للنشر والتوزيع ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م
٣٦	فقه السنة	سيد سابق	دار الكتاب العربي ١٣٩٧هـ
٣٧	مفتاح تدبر القرآن والنجاح في الحياة	خالد بن عبد الكريم اللاحم	مكتبة الملك فهد ١٤٢٥هـ
٣٨	العبودية لابن تيمية	أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية	المكتب الإسلامي مجمع الملك فهد

٣٩	مجموع الفتاوى لابن تيمية	أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	المكتب الإسلامي مجمع الملك فهد
٤٠	شرح صحيح البخاري لابن بطال	أبو الحسن علي بن خلف بن بطال	مكتبة الرشد ابن تيمية
٤١	فتح الباري شرح صحيح البخاري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	دار المعرفة بيروت ١٣٧٩
٤٢	مشكاة المصابيح	أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي	إدارة البحوث العلمية
٤٣	لسان العرب	جمال الدين ابن منظور	دار صادر بيروت
٤٤	المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وغيرهم	دار الدعوة
٤٥	دليل المرشد التربوي في المدرسة	سعيد حسني العزة	دار الثقافة – الأردن
٤٦	مهارات الإرشاد النفسي وتطبيقاته	موزة عبد الله المالكي	ط المجلس الوطني قطر
٤٧	العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان	إبراهيم عبد الستار	عالم المعرفة الكويت المجلس الوطني للثقافة
٤٨	الإرشاد النفسي	فهمي مصطفى	مكتبة النهضة المصرية
٤٩	العلاج النفسي في ضوء الإسلام	محمد عبد الفتاح المهدي	دار الوفاء المنصورة

٥٠	الإرشـــاد النفـــسي الديني	د/ محمود فتوح محمد سعدان	ط سنة ١٤٣٦هـ
٥١	الإرشاد والعـــلاج النفسي من منظور إسلامي	كمال مرسي	دار القلم ١٩٩٥م
٥٢	الإعجـــاز العلمـــي للقرآن الكريم فـــي علم النفس	رمضان محمد محمد	دار النهضة القـــاهرة ٢٠٠٦م
٥٣	الـــصحة النفـــسية والعلاج النفسي	حامد زهران	عالم الكتب القـــاهرة ١٩٩٩م
٥٤	الطريق إلى الصحة النفسية	عبد العزيز عبـــد الله الأحمد	رسالة ماجستير قـــسم علـــم الـــنفس بمكـــة المكرمة
٥٥	الدلالات الإكلينيكية المميزة لاستجابات مـــريض بعـــصاب الوسواس	عادل خضر	الهيئـــة المـــصرية للكتاب سنة٢٠٠٠م
٥٦	مستوى الرضا عن العمـــل الإرشـــادي لـــدى المرحلـــة الابتدائية	عبد الله الشهري	رسالة ماجستير كلية التربية بمكة المكرمة ٢٠٠٥م
٥٧	الإرشاد التربـــوي مفهومه خصائصه ماهيته	سعيد جاسم وإبـــراهيم الأسدي	سنة ٢٠٠٣م

٥٨	الكفايات الإرشادية المدركة واختلافها باختلاف التأهيل والتدريب والخبرة	رسالة دكتوراه- كلية الدراسات العليا	– الأردن سنة ٢٠٠٨م
٥٩	الإرشاد النفسي والاجتماعي	د/ صالح أبو عبادة وغيره	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢١هـ
٦٠	إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد	زين الدين المليباري	دار المعرفة

* * *